حصن الايات العظام في تفسير اوائل سورة الأنعام للعطوفي

تحقيق ودراسة

Süleyman NAROL*

1. سبب عمل التحقيق وأهميته وغايته وخطته

أعتقد أن هذه الرسلة مفيدة لطلاب العلم، خاصة لطلاب الجامعة؛ لأنّها تحتوي تفسير آيات سورة الأنعام وكُتِبت أُنْمُوذجًا من التحرير كما قال مؤلفه: "وإنَّما كتبتُ تفسيرها ليكونَ أُنْمُوذجًا من التَّحرير".

وغاية هذا العمل إكتشاف كنز من كنوز المفسرين العثمانيين؛ لأنّ جذور ثقافتنا نائمة في أحضان المكتبة التي تحفظ ميراثنا الوحيد، أردت أن أساهم في عرضه على خير الخلف.

وحاولت أن أصل إلى كلِّ النسخ قدر الإمكان، ووصلت إلى أربع نسخ. احد منها نسخة المؤلف، ورمزت لها بـ"أ"، وقارنت بين هذه النسخ الا نسخة ولي الدين أفندي برقم -3202- لأن محتوى هذه النسخة هو نفسه في النسخ الأخرى، ولم يكن فيها جديدٌ يوقف عندها.

2. تاريخ تأليف الكتاب وموضوعه ومحتواه

كتب العطوفي نفسه في متنها "تمت رسالة حصن الآيات لله الحمد وعلى النبي أفضل الصلوات في المحرم من سنة ست عشر وتسعمائة (916ه/1510م) من الحجرة النبوية". ويشير هذه العبارة أنَ المؤلف في الحاياة في هذه السنة ومن المحتمل أن هذه السخة نسخة المؤلف.

وموضوع رسالة "حصن الايات العظام في تفسير اوائل سورة الأنعام" علم التفسير، وهي تحتوي تفسير ثلاث آيات من اوائل سورة الأنعام.

3. المؤلف

اسم المؤلف خضر بن محمود بن عمر المرزيفوني الرُّومي المعروف بـ"خير الدين العطوفيّ". أحد العلماء المشاهير الذين نشؤوا في مدينةِ أَمَاسْيَا حَاضِنَةِ أبناء السَّلاطِينِ وموئلهِ التاريخي.[1]

4. عصر المؤلف والزمان والمكان الذي أُلِّف فيه الكتاب

ولد العطوفيّ في بلدة مرزيفون. وقد ضنتْ الكتب ومصنَّفات التراجم علينا بسنة ولادته، فلم نعثر عليها فيما وقفناعليه من تلك المصادر، ولكن تشيربعض الكتب إلى أنه كان حيًّا في زمن السلطان بايزيد الثاني 1481-1512م، والسلطان سليم الأول 1520-1512م والسلطان سليمان القانوني 1520-1566م. مما يعني أن العطوفي عاش زمنًا ليس قصيرًا، وعاصر أحداث سلاطين الدولة العثمانية الذين ذاع صيتهم وانطلقت شهرتهم في الآفاق، وبسبب علّمه الواسع وسعة ثقافته كان قريبًا من السلطان بايزيد الثاني الذي قرَّبه وجعله في جواره؛ ما دفع العطوفي لتأليف هذه الرسالة في تفسير آوائل سورة الأنعام وجعلها بين يدي السلطان المعظّم الذي دعاه وأسند إليه تعليم الرّق في قصره لتربيتهم والنهوض بهم .وبعد مدَّةٍ قصيرةٍ اعتذر العطوفي عمَّا أوكله له السلطان، وتفرغ للعلم والوعظ

---

*Yrd Doç Dr Selçuk Üniversitesi İslâmî İlimler Fakültesi Tefsir ABD (snarol@mynet.com)

(1) الأعلام، الزركلي، خير الدين بن محمود، دار العلم للملايين، 2002، ج. 2، ص. 307؛ هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، البغدادي، إسماعيل بن محمد أمين، طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية، استانبول، 1951، ج. 1، ص. 346.

والإرشاد واهبًا وقته لخدمة الناس في مساجد اسطنبول الكبيرة التي كانت مدارسَ يُهْدِي منها نصائحه وحِكَمَهُ للناس فأثَّرت فيهم تأثيرًا كبيرًا، ووجدت صداها لدى قلوبهم المتعطشة للمعرفة، وخصص له السلطان بايزيد خان كل يوم خمسون درهمًا ثُمَّ ارتفعت إلى ثمانين. وكذا لم أستطع أن أجد ما يغني سيرته الاجتماعية في كتب التراجم التي لم تذكر شيئًا من أحوال أسرته وأولاده وطفولته وتنشئته.[2] . في اواخر حياته اعتزل الوعظ والإرشاد وخلا لنفسه، وتوفي طيَّب الله ثراه سنة 1541/948 في استطنبول ودفن فيها.[3]

5. تحقيق اسم المؤلف

خضر بن محمود بن عمر المرزيفوني الرُّومي المعروف بـ"خير الدين العطوفيّ" (948هـ/1541م). قد ذكرت كتب التراجم: وهو خضر بن محمود بن عمر المرزيفوني الرُّومي المعروف بـ "خير الدين العطوفيّ".[4]

6. مولد المؤلف، وأسرته، ونشأته

ولم تترك لنا كتب التراجم ترجمة وافية لخضر بن محمود بن عمر المرزيفوني، تكشف لنا عن أسرته، وولادته وطفولته وتنشئته. واشتهر بنسبته إلى مرزيفون وبلقب "خير الدين العطوفيّ". توفي العطوفيّ سنة 1541/948 في استطنبول ودفن فيها.[5]

7. طلبه العلم، ورحلاته العلمية

معارف العطوفيّ فكانت متنوعة الأضروب والمشارب، إذ درس علمي التفسير والحديث على يدي الخليفة البَحْشِيّ، وأخذ علوم اللغة العربية عن مولاه العَهْدِيّ، وعلم الأصول من مولاه حاجه، والعلوم الشرعية من مولاه أفضل زاده رحمهم الله جميعًا.[6]

8. مؤلفاته

تنوعت مصنَّفاته بسبب تنوع ثقافته وسعة معرفته التي توزعت على مؤلَّفات في التفسير والحديث وعلوم العربية لاسيَّما البلاغةِ العربيَّةِ منها، ولم تقتصر علومه على المعارف النظرية بل كتب في العلوم المادية كالطبِّ النبويّ وسأقف على ذكر مصنَّفاته التي ذكرتها الكتب التي ترجمت للشيخ:

1. الأنظار فِي شرح بعض الأحاديث والآثَار.
2. الْجوهرة الجنانية فِي الْمسَائِل الإيمانية.
3. حاشِية على أنوار التَّنْزِيل للبيضاوي.

---

(2) الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية، طاشكبري زاده (ت. 968هـ/1560-1561م) أحمد بن مصطفى بن خليل، أبو الخير، عصام الدين، دار الكتاب العربي ، بيروت، ج. 1، ص. 250.

(3) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، كاتب جلبي، مصطفى بن عبد الله، مكتبة المثنى، بغداد، 1941، ج. 2، ص. 1331؛ المفسرون العثمانيون بين قرني 13-16، دَمِير، ضِيا، ، أنصار نشريات، إسطنبول، 2006، ص. 406-407؛ موسوعة وقف الديانة الأسلامية "العطوفي" جاكان، اسماعيل لطفي، ج. 4، ص. 98.

(4) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، كاتب جلبي، مصطفى بن عبد الله، مكتبة المثنى، بغداد، 1941، ج. 2، ص. 1331؛ المفسرون العثمانيون بين قرني 13-16، دَمِير، ضِيا، ، أنصار نشريات، إسطنبول، 2006، ص. 406-407؛ موسوعة وقف الديانة الأسلامية "العطوفي" جاكان، اسماعيل لطفي، ج. 4، ص. 98.

(5) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، كاتب جلبي، مصطفى بن عبد الله، مكتبة المثنى، بغداد، 1941، ج. 2، ص. 1331؛ المفسرون العثمانيون بين قرني 13-16، دَمِير، ضِيا، ، أنصار نشريات، إسطنبول، 2006، ص. 406-407؛ موسوعة وقف الديانة الأسلامية "العطوفي" جاكان، اسماعيل لطفي، ج. 4، ص. 98.

(6) المفسرون العثمانيون بين قرني 13-16، ص. 406-407؛ موسوعة وقف الديانة الأسلامية "العطوفي"، ج. 4، ص.

4. حاشِية على الكَشَّاف للزمخشريّ.
5. حاشية على تفسير قوله تعالى "فسحقا لأصحاب السعير."
6. حصن الْآيَات الْعِظام فِي تَفْسِير سورة الأنعام.
7. حفظ الأبدان قصيدة شعرية لامية.
8. ذُخْرُ العطشان منظومة تركية فِي الطِّبّ.
9. رِسَالَة فِي الْكَلَام.
10. رمز الدقائق منظومة فِي تَعْبِير الرُّؤْيَا.
11. روض الإنسان فِي تدابير صِحَة الأبدان.
12. شرح ايساغوجى فِي الْمنطق لَعَلي لخضر بك.
13. شرح قصيدة الْبُرْدَة.
14. كتاب العَطَّاس.
15. كشف الشارق فِي شرح مَشَارِق الأنوار.
16. مرْآة التَّأْوِيل فِيمَا هُوَ أنموذج التقويل.
17. مرْآة الرؤْيَا فِي التَّعْبِير.[7]

9. مصادر ترجمة المؤلف

استفدت في ترجمة المؤلف من المصادر التي ما تلي:

- الأعلام، الزركلي، خير الدين بن محمود، دار العلم للملايين، 2002.
- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، البغدادي، إسماعيل بن محمد أمين، طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية، إستانبول، 1951.
- الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية، طاشكبري زاده (ت. 968هـ/1560-1561م) أحمد بن مصطفى بن خليل، أبو الخير، عصام الدين، دار الكتاب العربي، بيروت.
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، كاتب جلبي، مصطفى بن عبد الله، مكتبة المثنى، بغداد، 1941.
- المفسرون العثمانيون بين قرني 13-16، دَمِير، ضِيا، أنصار نشريات، إسطنبول، 2006.
- موسوعة وقف الديانة الأسلامية "العطوفي" جاكان، اسماعيل لطفي.

10. مصادر المؤلف في الكتاب

بسبب اتساع ثقافة الشيخ العطوفي ووسعة معرفته في علوم عديدة كما سبقت الإشارة، جاءت مصادره التي اعتمدها في حصن الآيات العظام متنوعة وموزَّعَةً على أكثر من علمٍ وهي:

- الكشاف للزمخشري
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل للقاضي البيضاوي
- حاشية التفتازاني على تفسير الزمخشري للسعد التفتازاني
- حاشية على تفسير سورة الأنعام للقاضي البيضاوي. لمصلح الدين مصطفى بن الحاج حسن المشهور بالحاج حسن زاده.
- سفر السعادة وسفير الإفادة للسخاوي.

نلاحظ مما سبق أن الشيخ العطوفي اعتمد على كتب في التفسير والبلاغة والنحو والحواشي التي تفيد زيادة الشروح والتفصيل ، وكذا نجده يأخذ عن تلك المصادر نصوصًا تامةً في كثير من الأحيان مشيرًا إلى هذا النقل

(7) الأعلام، للزركلي، ج. 2، ص. 307، كشف الظنون، كاتب جلبي؛ ، ج .2، ص 1331، المفسرون العثمانيون، دَمِير، ص. 407؛ هدية العارفين، البغدادي، ج1، ص346.

بكلمة توضِّح أخذه عن الزمخشري[8] أوالبيضاوي[9] أوالتفتازاني[10] أوالسخاوي[11] صراحةً - وحسبنا بعض الإشارات ههنا - الذي أكثر من النقل عنه خصوصًا في تفسير كلمة الإله للتفريق بين ما قاله الزمخشري وما قاله البيضاوي مستأنسًا بالذي جاء به السخاوي من أقوال لسيبويه ومحمد بن يزيد المبرّد والإمام الجوهري وابن منظور وبعض الفقهاء كالشافعي وأبي حنيفة ومحمد بن الحسن الشيباني رحمهم الله جميعًا.[12]

11. شواهده

تنوعت شواهد العطوفي وتعددت لتنوع ثقافته وجاء في مقدمتها:

أ- القرآن الكريم

من المعروف أن القرآن من أهم مصادر العلوم الإسلامية خصوصًا في التفسير الذي يعتمد أحيانا على تفسير القرآن بالقرآن وهو ما اعتمده العطوفي في حصن الآيات مثلًا في أثناء شرحه لأول آية من سورة الأنعام التي تبدأ بـ الحمد لله ...، يعتمد في تفسير معنى الحمد على الآية الثانية من سورة البقرة القائلة بـ ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ قاصد حرف اللام المستعمل للاستحقاق.[13] وكذا الأمر نفسه في شرحه للآية الثانية من سورة الأنعام التي شرحها بالآية الثامنة والستين من سورة الزمر.[14]

ب- الأحاديث الشريفة

لم يعتمد العطوفي كثيرًا على الأحاديث النبوية عدا موضعين ذكر فيهما حديثين، جاء الأول منهما في فضل أوائل سورة الأنعام، والثاني في فضلها تامَّةً.[15]

ت- كلام العرب

وهو على شكلين الشعر والنثر. أما الشعر فجاء قليلا في موضعين، الأول: لأبي النَّجم العَجْليّ الذي يقول فيه أنا أبو النَّجم وشعري شعري[16] والثاني جاء عند السخاوي مستشهدًا فيه على أصل كلمة الناس، ممّا يعني أن العطوفي لم يستشهد بالبيت إلا عرضًا.[17] وأما النثر فجاء قليلًا أيضًا في موضعين فقط أما الأول فكان في استشهاد العرب في مقالة علي رضي الله عنه في ساحة الحرب أنا عليٌّ للدلالة على شجاعته وشدة بأسه[18] وجاء الثاني في قول الجاحظ " لكلّ مقامٍ مقالٌ " للدلالة على مناسبة القول للمقام الذي يقال فيه[19] وهذا الذي استخدمه العطوفي سيَّارٌ في كتب البلاغةِ العربيّةِ.

ث- كلام الفرس

استشهد العطوفي في موضعين اثنين من الكلم الفارسي، الأول منهما جاء للدلالة على قدرة المصوَّر على تصوير الشيء في المرة الثانية أفضل ممّا كان في المرة الأولى، إشارة منه على قدرة الله في البعث وقدرته سبحانه وتعالى على إعادة الخلق مرة أخرى.[20] والثاني: للدلالة على عطاء الله وإكرامه للناس جميعًا بالنعم الكثيرة دون

(8) حصن الآيات العظام، 6و، 37و.
(9) حصن الآيات العظام، 16و، 40ظ، 42و.
(10) حصن الآيات العظام، 16ظ، 17ظ،22و.
(11) حصن الآيات العظام، 42ظ،48و.
(12) حصن الآيات العظام، 42ظ -48و.
(13) حصن الآيات العظام، 8و ومابعدها، والحاشية 31 فيها توضيح.
(14) حصن الآيات العظام، 33و.
(15) حصن الآيات العظام، 4ظ -5ظ.
(16) حصن الآيات العظام، 38و.
(17) حصن الآيات العظام، 43ظ.
(18) حصن الآيات العظام، 49و.
(19) حصن الآيات العظام، 12ظ .
(20) حصن الآيات العظام، 34و.

تفرقة بين مؤمن وكافر، لأنَّ عَطاء الكريمِ للناس واحدٌ، وتكريمه للمرء من مثل العقل ينطبق على الكافر والمؤمنِ.[21]

12. منهج المؤلف في الكتاب

كما هوعادة الكتَّاب وأهل التأليف بدأ العطوفي مخطوطه بالحمد لله والثناء عليه، ثم الصلاة على الرسول محمد (ص) الذي ضرب خيام الشرع بين المشارق والمغارب، وبعدها انتقل إلى مدح السلطان بايزيد خان مدحًا طويلًا إذ ألقى عليه صفاتٍ عاليةً؛ لأنه اهتم بالعلوم الإسلامية ونشرها وتعليمها قال: "الحمدُ للهِ الذي جعل سلطاننا لحمى الإسلام حاميًا ، وصيَّرَ أمر الدِّين بحُسْن حمايته ناميًا وساميًا، والصَّلاة على سيدنا محمَّد الَّذي ضرب خيام الشَّرع بين المشارق والمغارب فحصل باستعمال شرعه أصحابُ الكراماتِ وأرباب المناقب، منهم السَّلطان المعظَّمُ الَّذي هو أعظمُ سلاطين العصر والخَاقَانُ المُفَخَّمُ الَّذي هو أفخمُ خَوَاقِينِ الدَّهر".[22] ثمَّ يذكر عمله في دار السلطنة الذي اقتضى منه أشياءَ عديدة منها تأليفه هذا المخطوط الذي حصره في تفسير ثلاث آيات من أوائل سورة الأنعام ، مستندًا إلى ما ذكر من فضائلها في أحاديث النبي (ص) قائلًا: "بعرض ثلاث آيات الَّتي رُوي في شأنها عن النَّبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم أنَّه قال: من قرأ ثلاث آيات..."[23] ثم يذكر الحديثيين في فضائل قراءتها، ثم يذكر مطالعته للكشاف وحاشية السعد التفتازاني وتفسير القاضي البيضاوي، وحاشية مولانا المعروف بالحاج حسن زادة نوَّر الله ثراهم[24] وقد أخذ عنهم ما قبله عقله وفكره وردَّ ما دون ذلك؛ مما يدل على أنه لم يكن ناقلًا عنهم فقط بل كان يقول مايريد أن يعبر فيه عن رأيه مخالفًا أو موافقًا لمن سبقه.[25] ثمّ يصرّح بتسمية المخطوط ويعود لحمد الله بادئًا بالتفسير يقول: "بسم الله الرَّحمن الرَّحيم، اَلْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْاَرْضَ، الحمدُ هو الثَّناءُ باللِّسان على الجميل الاختياريّ من نعمةٍ وغيرها، فالحمدُ على هذا التعريفِ وصفٌ للحامدِ..."[26] ثمَّ يُسْهِبُ في شرح الآية الأولى من سورة الأنعام ناقلًا عن الكشاف وأنوار التنزيل وحاشية التفتازاني وحاشية الحاج حسن زاده، ومناقشًا أراءهم، فجاءت عبارته ممزوجة من غير مؤلف، ينقل من هنا وهناك ويُدْخِلُ نقلاً في آخر، مما جعل فهم ما يكتبه صعبًا أحيانا وحسبي الإشارة ههنا إلى قوله: "فعُلِمَ من التقرير المذكور أنّ تخصيصَ تعلّقِ الباءِ على الوجهِ الأوَّلِ بكفروا، وعلى الوجهِ الثّاني بيعدلونَ، منَ العدلِ بمعنى التّسويةِ كما صرَّحَ بهِ البيضاويُّ فهماً من سياقِ الزّمخشريّ واسْتَصْوَبَهُ مولانا المحشّي المعروفُ بالحاجّ حَسَنْ زاده رحمهمُ اللهُ تخصيصٌ بلا مخصّصٍ كما هو مختارُ السّعدِ التفتازانيّ رحمهُ اللهُ رحمةً واسعةً"[27] والمدقق في هذا المثال يجد صعوبة في تأويل معناه، ونجد في منهجه اهتمامه بعلوم اللغة العربية وهي من أدوات المُفَسِّر الناجح وفق الآتي:

أ- اعتماده منهج النحويين؛ لأنه كان يهتم بالكلمة وتوافق معناها النحوي مع جارتها في الجملة وكيفية مجيئها كما شرح في ثُمَّ واللَّام.[28]

ب- اعتماده على علم المعاني وفهمه للتقديم والتأخير وما يترتَّب عليه من توجيه نحوي كما شرح "وأجلٌ مسمى عنده" وما أوجب تقديم أجل مسمىً على الظرفية؛ لتفخيم شأن يوم القيامة.[29]

ت- اعتماده على المعاجم في التفريق بين معاني الكلمات ومناسبتها للسياق التي جاءت فيه، مثلًا الفرق الذي بيَّنه العطوفي بين الخلق والجعل[30] وكذا الأمر في تعدد معاني كلمة (مرى) وتنوعها.[31]

(21) حصن الآيات العظام، 18ظ.
(22) حصن الآيات العظام، 2ظ ومابعدها.
(23) حصن الآيات العظام، 4ظ ومابعدها.
(24) حصن الآيات العظام، 6و.
(25) حصن الآيات العظام، 6و .
(26) حصن الآيات العظام، 7ظ .
(27) حصن الآيات العظام، 16و.
(28) حصن الآيات العظام، 8و،13ووومابعدها.
(29) حصن الآيات العظام، 28و.
(30) حصن الآيات العظام، 11و ومابعدها.
(31) حصن الآيات العظام، 35ظ -36و.

ث- اعتماده في تفسير الآيات القرآنية على القرآن نفسه مثلما جاء في تفسير معنى الحمد على الآية الثانية من سورة البقرة القائلة بـهدى للمتقين قاصدًا حرف اللام المستعمل للاستحقاق كما ذكرت آنفًا في فقرة شواهده.

ولم يكن العطوفي بعيدًا عن الذين أخذ عنهم فقد تأثَّر بهم تأثُّرًا واضحًا، فسار على سبيلهم في كتابة رسالته التي جاءت أنموذجًا للتفسير اللغوي الذي لم نره يخرج عنه أبدًا من أول مخطوطه وحتى نهايته.

كما يمكن القول: إن نقولات العطوفي لم تكن قليلة أو قصيرة، فكثيرًا ما كان ينقل عن الزمخشري وغيره ممن وقفنا عليهم نقولًا طويلة كنقله عن السخاوي في شرح كلمة لفظ الجلالة (الله) الذي يَعُدُّ صفحاتٍ في مخطوطه.[32]

ونتيجة القول: لم يكن في منهج العطوفي جديدٌ يذكر، بل سار على مناهج المفسرين اللغويين.

13. أسلوبه

ساتناول ههنا بعض ترجيحاته لبعض الآراء والأقوال واعتراضاته.

أ- ترجيحاته

سعة علم العطوفي وغنى معرفته مكناه من ترجيح بعض الآراء على بعضها الآخر، وذلك مثلا من خلال سرده للأقوال التي نقلها عن سفر السعادة للسخاوي في شرح كلمة (الله) لترجيح رأي الزمخشري على البيضاوي بقوله: "الكلامُ الفاصلُ بينَ ما ذهبَ إليهِ الزَّمخشريُّ، وبينَ ما ذهبَ إليهِ البيضاويُّ في اسمِ اللهِ. هل هو عَلَمٌ غيرُ مشتقٍّ، لا وصفيَّةَ فيهِ أصلاً، أم لا؟ قلتُ: الكلامُ الفاصلُ هو ما ذكرهُ الشَّيخُ الإمامُ العالمُ الأوحدُ الفاضلُ العلّامةُ علمُ الدِّينِ، حجَّةُ العربِ، شيخُ القرَّاءِ، أبو الحسنِ، عليُّ بنُ محمدِ بنِ عبدِ الصَّمدِ السّخاويُّ رحمهُ اللهُ رحمةً واسعةً، في كتابهِ سِفْرِ السَّعادةِ..."[33] ويتبين لنا أنه استعان بكلام السخاوي لترجيح رأي الزمخشري على البيضاوي كدليلٍ واضحٍ، ويقول في هذه المسألة في موضع آخر يدخل تحت ترجيحاته: "أنَّ اسمَ اللهِ علمٌ اسمٌ غيرُ مشتقٍّ، لا وصفيّةَ فيهِ أصلًا، فيكونُ في قولهِ تعالى: في السّماواتِ، متعلِّقًا بالمعنى باسمِ اللهِ، وهو المعنى الوصفيُّ الّذي ضُمِّنهُ اسمُ اللهِ تعالى، وهو القدرةُ الكاملةُ على الوجهِ الأوّلِ، والعلمُ الكاملُ على الوجهِ الثّاني و بناءً على شهرتهِ تعالى بكلٍّ منهما، كما في قولِكَ حاتمٌ في طَيِّئٍ، على تضمينِ معنى الجوادِ، وتعلُّقِ في هنا بالمعنى المُضَمَّنِ طريقةُ الزَّمخشريِّ رحمهُ اللهُ تعالى، وليسَ هوَ بمتعلَّقٍ باسمِ اللهِ كما اختارهُ القاضِي البيْضَاويُّ، مخالفًا لمَا ذهبَ إليهِ الشّافعيُّ، رحمهما اللهُ تعالى رحمةً واسعةً. هذا ماخَطَرَ بالخَاطِرِ الفَاتِرِ عندَ فُتُورٍ فيهِ، الخُطُورُ نادرُ."[34]

ونراه يرجّحُ قولًا على آخر في الآية الثانية من سورة الأنعام بعد مناقشة الآراء اللغوية لكلمة الأجل والفرق بين الأجل والأجل المُسمَّى ودلالة كلٍّ منهما بعد سرده أكثر من رأيٍّ يقول: "قلتُ: المرادُ بالأجلِ الأوّلِ الوقتُ المعيَّنُ لموتِ كلِّ ما يميتهُ اللهُ تعالى على ما جرت عليهِ عادتَهُ تعالى عندَ أسبابٍ معروفةٍ عاديّةٍ مألوفةٍ، من الأسقامِ وغيرها.وبالأجلِ الثّاني هو الوقتُ المعيَّنُ للموتِ الدَّفعيِّ غيرِ العاديِّ، في كلِّ ذي روحٍ عندَ سببٍ غيرِ مألوفٍ، هو نفخةُ القيامةِ، قالَ اللهُ تعالى: ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله. فإذا كانَ الموتُ الثّاني غيرَ الموتِ الأوّلِ، بهذا الاعتبارِ الواضحِ كانَ الظَّرفُ لأحدهما مغايرَ الظَّرفِ الآخرِ مغايرةً ظاهرةً، وإن صدقَ على كلٍّ منها إنَّهُ وقتُ الموتِ فما بينهما كما بينَ السّماءِ والأرضِ.[35]

ب- اعتراضاته

من اعتراضات الشيخ العطوفي ما لاحظته في تفسير الآية الأولى في معنى ثُمَّ وقت سرد آراء الزمخشري والتفتازاني من أنَّ معنى ثم للاستبعاد ومعارضة الحاج حسن زاده لهما ليعلِّق العطوفي على مذهب حسن زاده بقوله معترضًا عليه "ولقد أتى مولانا المحشّي شيئاً عجيباً"[36] ممّا يدلُّ على استغرابه وعدم قبوله لمقولة الحاج حسن زاده.

(32) حصن الآيات العظام، 42ظ -48و.
(33) حصن الآيات العظام، 42ظ -43و.
(34) حصن الآيات العظام، 51و-51ظ .
(35) حصن الآيات العظام، 32ظ -33و.
(36) حصن الآيات العظام، 17ظ.

14. مصادر المحقّق

رجعت في أثناء التحقيق إلى المصادر المعتمدة، نحو:

- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري، محمود بن عمر (ت. 538هـ).
- سفر السعادة وسفير الإفادة للسخاوي، علي بن محمد بن عبد الصمد (ت. 643 هـ).
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد (ت. 685هـ).
- حسن زاده، الحاشية على تفسيرسورة الأنعام للبيضاوي، مخطوطة مكتبة السليمانية، أسعد أفندي/91، (S. Ktp. Esad. Ef./).
- الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية، طاشكبري زاده (ت. 968هـ/1560-1561م) أحمد بن مصطفى بن خليل، أبو الخير، عصام الدين.
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، كاتب جلبي، مصطفى بن عبد الله، (ت 1657/1067).
- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنّفين، لإسماعيل بن محمد البغدادي (ت 1920).
- الأعلام للزَّركلي، خير الدين بن محمود (المتوفى: 1396هـ).
- المفسرون العثمانيون بين قرني 13-16، لدَمِير، ضِيا.
- موسوعة وقف الديانة الأسلامية "العطوفي" لجاكان، اسماعيل لطفي.

15. منهج التحقيق

اتخذت أسس مركز البحوث الإسلامية (إيسام) في التحقيق منهجاً، وقمت بتخريج الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة والشعروالنثر الذي ورد في المتن من مصادرها التي وردت فيها، وقمت بنسخ المخطوط وفق قواعد الإملاء الحديثة مصححا ما ورد فيها من أخطاء نسخية وكتبت في نهاية الدراسة المصادر التي اعتمدت عليها في مسائل التخريج، والضبط.

16. التعريف بالمخطوطة وتوثيق نسبة الكتاب إلى المؤلف

بعد التفتيش والبحث في المصنفات التي وقفت عليها تبيَّن أن نسبة المخطوط تعود إلى العطوفي صراحة لا يأتيها الشَّكُّ من جانبٍ ما، يضاف أيضا إلى هذا ما ورد في بيبلوغرافيا نسخ المخطوطات التي اعتمدتها في تحقيق النص وإخراجه التي تعود إلى غير مكتبة إلى نسبة المخطوطة لصاحبها العطوفي. لكن من أهم ما يذكر ههنا في توثيق المخطوطة ما ذكره العطوفي نفسه في النسخة الأمّ (أ) في اللوحة الأولى قائلا:" هذا حصن الآيات العظام في تفسير أوائل سورة الأنعام لأصغر العباد العطوفي عفي عنه وعوفي"[37] وكذا جاء في النسخة (ج) نسبتها صريحة للعطوفي القائل"سودها الفقير الى الله الغني خضر بن محمود بن عمر العطوفي"[38] ممّا يجعلنا مطمئنين إلى نسبة المخطوطة إلى صاحبها الحقيقي على عكس كثير من المخطوطات التي تنسب خطأً إلى غير أصحابها.

وقفت لإخراج هذه المخطوطة على أربع نسخٍ وفيما يلي وصفها:

16.1. نسخة آيا صوفيا-399، ورمزت لها بـ"أ"

هذه النسخة محفوظة في المكتبة السليمانية في مجموعة آيا صوفيا تحت رقم (399)، وتقع (51) ورقة. وعدد سطورها (9)، وهي نسخة ملوّنة مقروءة سليمة. وحرد متنها "تمت رسالة حصن الآيات لله الحمد وعلى النبي

(37) انظر: اللوحة الأولى من النسخة أ.
(38) انظر: 3و من النسخة ج.

أفضل الصلوات في المحرم من سنة ست عشر وتسعمائة (916ه/1510م) من الحجرة النبوية". ويشير هذه العبارة أنَ المؤلف في الحياة في هذه السنة ومن المحتمل أن هذه السخة نسخة المؤلف.

وفي ظهرية النسخة ختمين وقيد الوقف، فيها: قد وقفت هذه النسخة الجليلة سلطان الأعظم والحاقان المعظم مالك البرين والبحرين حادم الحرمين الشريفين سلطان بن سلطان اللطان الغازي محمود حان ...

وفيه سرلوحة مزينة بالبسملة. وتبدأ الرسالة بـ"بسم الله الرحمن الرحيم الحمدُ للهِ الذي جعل سلطاننا لحمى الإسلام حاميًا، وصيَّرَ أمر الدِّين بحُسْنِ حمايته ناميًا وساميًا، والصَّلاة على سيدنا محمَّدٍ الَّذي ضربَ خيامَ الشرعِ بين المشارق والمغارب..."،

وتنتهي بـ"... وليسَ هوَ بمتعلَّقٍ باسمِ اللهِ كما اختارهُ القاضِي البيْضَاويُّ، مخالفًا لمَا ذهبَ إليهِ الشَّافعيُّ، رحمهما اللهُ تعالى رحمةً واسعةً. هذا ماخَطَرَ بالخَاطِرِ الفَاتِرِ عندَ فُتُورٍ فيهِ، الخُطُورُ نادرُ.

16.2. نسخة آيا صوفيا-396، ورمزت لها بـ"ب"

وقد رمزت لها بـ(ب) وهي نسخة ملونة مقروءة سليمة مصورة عن نسخة خطية موجودة في مكتبة السليمانية، قسم أيا صوفيا برقم (396) تتكون من تسع عشرة لوحةً، تشمل اللوحة قطعتين رمزت للأولى بـ (و) وللثانية بـ (ظ)، عدا اللوحة الأولى التي اقتصرت على العنوان الذي جاء صريحًا (كتاب حصن الآيات العظام في تفسير أوائل سورة الأنعام وكتاب أنظار شرح المشارق مع خاتمة في التعبير الفائق) في دائرة توسطت الصفحة وجاء تحتها عنوان كتاب آخر اسمه كتاب العطَّاس. وجاء في أعلى الصفحة ختمٌ كتب فيه نفس الكتابة في النسخة الأم ولم يُؤَرَّخْ لزمن كتابة هذه النسخة، وكان عدد أسطر كل صفحة سبعة عشر سطرًا، في السطر الواحد ما يقرب من ثماني إلى إحدى عشرة كلمة كتبت بخط متوسط واضح، ويضاف إلى هذه الأوصاف كتابة الآيات باللون الأحمر وكلمة "قوله " حينما كان ينقل عن أحد العلماء، أو كلمة " قلت" حينما يذكر شيئًا خاصًا به، أو كلمة بيت حينما ذكر شيئًا من الشعر. وجاءت هوامشها منقولة عن النسخة الأمِّ إلا هامشًا واحدا من النسخة الأم ورد متنًا في هذه النسخة يبدأ بالقول "فإن قلت ..." وينتهي بالقول " بالجميل الاختياري" وهذا مما رجَّح أن تكون النسخة (أ) هي النسخة الأمُّ.

16.3. نسخة المكتبة المليَّة في أنقرة -4160/06، ورمزت لها بـ"ج"

وقد رمزت لها بـ(ج) وهي نسخة ملونة مقروءة سليمة مصورة عن نسخة خطية موجودة في المكتبة المليَّة في أنقرة برقم(4160/06) تتكون من ثماني عشرة لوحةً، عدا الجلد الذي لم يكتب عليه شيء، وقد بدأت بالبسملة والحمد مباشرة من دون تدوين أي معلومات عن المخطوط .تشمل اللوحة قطعتين رمزت للأولى بـ (و) وللثانية بـ (ظ)، وقد أرَّخَ الناسخ لهذه النسخة الفقير الحافظ محمد درويش بن مصطفى الأسيرالحنفي الخالدي في القسطنطينية المحميَّة في مدرسة كمانكش قره مصطفى باشا زمن الانتهاء من كتابة هذه النسخة في عشرين محرَّم في يوم الخميس سنة 1316 هجرية، وكان عدد أسطر كل صفحة يتراوح مابين ستة عشر وثمانية عشر سطرًا ، في السطر الواحد ما يقرب من ثماني إلى عشر كلمات كتبت بخط التعليق المتوسط ، ويضاف إلى هذه الأوصاف كتابة الآيات باللون الأحمر وكلمة "قوله " أحياناً حينما كان ينقل عن أحد العلماء، أو كلمة " قلت" حينما يذكر شيئًا خاصًا به وجاءت هوامشها منقولة عن النسخة الأمِّ إلا هامشًا واحدا من النسخة الأم ورد متنًا في هذه النسخة يبدأ بالقول " فإن قلت ..." وينتهي بالقول "محمودا عليه هذا" وما يميز هذه النسخة أيضاً هو نسخ الناسخ لبعض التعليقات باللون الأحمر وكتابة بعض الأرقام الدالَّة عليها.

16.4 نسخة ولي الدين أفندي برقم -3202

وهي نسخة ملونة مقروءة سليمة مصورة عن نسخة خطية موجودة في مكتبة بايزيد في اسطنبول ، قسم ولي الدين أفندي برقم (3202)، تتكون من إحدى وثلاثين لوحةً، تتكون اللوحة من قطعتين، في كل قطعة أحد عشر سطرًا جاءت الأسطر داخلة في رسم أخذ شكل مستطيلٍ، في كل سطر ما يقرب من ثماني كلماتٍ كتبت بخط متوسط واضح مقروءٍ ، لايوجد فيه ما يثبت زمن نسخها أو اسم الناسخ إلا ما جاء في وجه اللوحة الثالثة قوله "سودها الفقير إلى الله الغني خضر بن محمود بن عمر العطوفي" وهذا يعني أن صاحبها هو نفسه العطوفي، وجاءت الآيات

مكتوبة باللون الأحمر، وكلمة "قوله"، "وقيل"، "وقلنا". ولم نقارن هذه النسخة بالنسخ الأخرى، لأن محتوى هذه النسخة هو نفسه في النسخ الأخرى، ولم يكن فيها جديدٌ يوقف عندها.

تـــحـــقـــيـــق الـــمـــخـــطـــوط

حصن الآيات العظام في تفسير أوائل سورة الأنعام

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ للهِ الذي جعل سلطاننا لحمى الإسلام حاميًا، وصيَّرَ أمر الدِّين بحُسْنِ حمايته ناميًا وساميًا، والصَّلاة على سيدنا محمَّدٍ الَّذي ضربَ خيامَ الشرعِ بين المشارق والمغارب، فحصل باستعمال شرعه أصحابُ الكراماتِ /[2ظ] وأربابُ المناقبِ، منهم السّلطانُ المعظَّم، الَّذي هو أعظمُ سلاطين العصر والخَاقَانُ المُفَخَّمُ الَّذي هو أفخمُ خَوَاقِينِ الدَّهر، رآياتُ الشَّرعِ بآراءِ نصرته، منصوبةٌ منصورةٌ، وآياتُ الحقّ بآثار همَّته مرفوعةٌ مشهورةٌ، سَمَكَ سَمْكَ العلومِ إلى أقصى سِمَاكَ العلوّ بفضل تربيته وعنايته، وصار أَوْجُ سماء الأعمالِ مَقَرَّ ضِيَاءِ الإخلاصِ بشمسِ حُسْنِ /[2و] عقيدته ورعايته في يُمْنِ بقائه.

أَمِنَ مَنْ آمَنَ باللهِ منَّا من الله، فهم في أمان الله في سَيْرِ سَرِيَّتِهِ صَيْرُورَةُ العِدَى كالنَّملِ في الوادي، أو نُذُرًا عُرَاةً إلى أقصَى بلادهم يمشون في البوادي، رياضُ العصرِ بِحِياضِ عدله، مزهرةٌ مثمرةٌ، وحياضُ العدلِ بمياه علمه فاضلةٌ فائضةٌ، مَلِكٌ إنْ سكنَ فله ملكاتُ فضائلَ /[3ظ] لا يَتملَّكُها مَلَكٌ، وإن تحرَّكَ فله تحمُّلاتُ فواضلَ، لا يتحمّلها الفُلْكُ، ولا الفَلَكُ، سِدْرَةٌ بها، ينتهي جِنانُ مُلْكِ مِلَّةِ الإسلامِ، ودوحةٌ يُبَاهي بها طرائقُ عدلٍ في حدائق الأنعام، سلطان بايزيد خان بن سلطان محمَّد خان، الذي هو السَّابعُ في نَسلِ عثمان خان رضي الله تعالى عنهم وأحسن الله تعالى إليهم، وعفا /[3و] عنهم وعافاهم، ونصرهم، وكفاهم، وقرَّبهم ورقَّاهم وبعدُ.

فلمَّا كان السُّلطان العالم العامل العادل لائقًا بأن يكون محفوظًا عن الآفات، خدمت لِجَنَابِ بابِ خدمته، بعرض ثلاث آيات الَّتي رُوي في شأنها عن النَّبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم أنَّه قال: "من قرأ ثلاث آيات من أول سورة الأنعام وكَّل الله به سبعين /[4ظ] ألف ملكٍ يحفظونه وكُتِبَ له مثل أعمالهم إلى يوم القيامة، ونزل ملك من السماء السابعة بِمِرْزَبَّةٍ من حديد، كلَّما أراد الشَّيْطانُ أن يُلْقِي في قَلْبِهِ شيئًا ضربه بها وجعلَ بينه وبين الشَّيطانِ سبعين ألفَ حِجَابٍ، فإذا كان يوم القيامة قال الله تعالى: [يا] بن آدم، امْشِ تحْتَ ظِلِي، وكُلْ من ثمار جِنَّتي، واشربْ /[4و] من ماء الكوثر، واغتسل من ماء السلسبيل، وأنت عبدي وأنا ربُّك، لا حساب عليك ولا عقابَ،"[39] الحديث.

وروي عن النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم لـمَّا نزلت سورة الأنعام سبَّحَ ثُمَّ قال: "شَيَّعَ هذه السَّورةَ من الملائكةِ ما سدَّ الأفقَ"[40] الحديث، صدق رسول الله وصدق حبيب الله.

[39] أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْمُزَكِّي، أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَلِيٍّ الْوَرَّاقُ، حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ سَوَّارٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ الأَسَدِيُّ، حَدَّثَنَا بَشِيرُ بْنُ زَاذَانَ، حَدَّثَنِي أَبُو الْحَجَّاجِ رِشْدِينُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، رَفَعَ الْحَدِيثَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " مَنْ قَرَأَ ثَلاثَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الأَنْعَامِ حِينَ يُصْبِحُ وَكَّلَ اللَّهُ بِهِ سَبْعِينَ أَلْفَ مَلَكٍ يَحْفَظُونَهُ، وَكَتَبَ لَهُ مِثْلَ أَعْمَالِهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَنَزَلَ مَلَكٌ مِنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ مَعَهُ مِرْزَبَةٌ مِنْ حَدِيدٍ كُلَّمَا أَرَادَ الشَّيْطَانُ أَنْ يُلْقِيَ فِي قَلْبِهِ شَيْئًا مِنَ الشَّرِّ ضَرَبَهُ بِهَا، وَجَعَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الشَّيْطَانِ سَبْعِينَ أَلْفَ حِجَابٍ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ابْنَ آدَمَ، ابْقَ تَحْتَ ظِلِّي، وَكُلْ مِنْ ثِمَارِ جَنَّتِي، وَاشْرَبْ مِنْ مَاءِ الْكَوْثَرِ، وَاغْتَسِلْ مِنْ مَاءِ السَّلْسَبِيلِ، فَأَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ، لا حِسَابَ عَلَيْكَ وَلا عَذَابَ. تفسير الوسيط للواحدي، سورة الأنعام ، 251/2.

[40] خْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ الْحَافِظُ، وَأَبُو الْفَضْلِ الْحَسَنُ بْنُ يَعْقُوبَ الْعَدْلُ قَالَا: ثنا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ الْعَبْدِيُّ، أَنْبَأَ جَعْفَرُ بْنُ عَوْنٍ، أَنْبَأَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، ثنا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُنْكَدِرِ، عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ سُورَةُ الْأَنْعَامِ سَبَّحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ قَالَ: «لَقَدْ شَيَّعَ هَذِهِ السُّورَةَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مَا سَدَّ الْأُفُقَ» هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ «فَإِنَّ إِسْمَاعِيلَ هَذَا هُوَ السُّدِّيُّ، وَلَمْ يُخَرِّجْهُ الْبُخَارِيُّ» المستدرك على الصحيحين للحكيم، كتاب المكاتب، تفسير سورة الأنعام 3226.؛ شعب الإيمان للبيهقي، تعليم القرآن، ذكر السبع الطوال 2208.

وقد فَسَّرتُ تلكَ الآياتِ بقدر البضاعة، معَ /[5ظ] ضِيقِ الوقتِ عن بذل الطَّاقة، بعدما طالعتُ كتاب الزَّمَخشريّ، وحاشيةَ السَّعدِ التَّفْتَازَانيّ،[41] والكتابَ المشهورَ بتفسيرِ القاضي، وحاشيةَ مولانا المَعْروفِ بالحَاجّ حسن زَادَه القاضي،[42] نوَّرَ اللهُ تعالى ثراهم، وجعل الفردوسَ مَثْوَاهم، وكتبتُ منها ما اخترته، وارتضيته، فما لم أرضَ عنه حَرَّرْتُهُ على ما غيَّرتُهُ /[5و] فكلُّ كلامٍ منها زعمتُ فيه شيْءٌ، أشرتُ إلى ذلك الشَّيءِ، وإشارتي شَيْء رَاقِمًا على السُّطورِ لفظةَ هنا بالحُمْرَةِ، وقد كان ذلك لمصلحةٍ حميدةٍ لا لشهرةٍ، فمن نظرَ في زمان الحَسَد بعين الإنْصَافِ فهو المؤمن المُثَاب بالأَضْعَافِ لغرضِ النَّفْسِ تُخَيَّلُ النَّارُ في آخرِ الزَّمانِ، كأنَّها ماءٌ والمياه نِيرانٌ.

وسمَّيتُ هذه الرِّسالةَ /[6ظ] حِصْنَ الآياتِ العِظَامِ في تفسير أوائلِ سورةِ الأنعامِ، وإنَّما كتبتُ تفسيرها؛ ليكونَ أُنْمُوذجًا من التَّحري عند ملكٍ عليمٍ خبير يَسِير الأُنْمُوذَجِ عندَ البصيرِ، كثيرٌ يَفْهَمُ الخَبِير الكثير من اليسيرِ، وحَرَّرتهُ مع ضَجْرَةِ البالِ، بأنواعِ الشَّدائدِ، والاستعجالِ، اللَّهُم انفع بما فيها جميعَ الأنامِ كما نفعتَ الأقوامَ بسورة الأنعام، /[6و] إنَّك مجيبُ الدَّعَوَاتِ، وقاضي الحاجات.[43]

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [الأنعام، 1/6] الحمدُ هو الثَّناءُ باللِّسان على الجميل الاختياريّ من نعمةٍ وغيرها، فالحمدُ على هذا التعريفِ وصفٌ للحامدِ، فإذا أُخْبِرَ بأنَّه[44] ثابتٌ[45] للَّذاتِ القديمةِ الكائنةِ قبلَ كلِّ شَيءٍ،[46] الَّذي هو الله تعالى،[47] يكون[48] المرادُ به المصدرُ من المَبْنِيّ /[7ظ] للمفعولِ،[49] إذا أُخْبِرَ بثبوتهِ له على الاطلاقِ،[50] يكونُ المُرَادُ أنَّ[51] الاستحقاقَ والجَدِيْرِيَّةَ بالحمدِ ثابتٌ له[52] تعالى؛ إذ لا صحَّةَ لِلْمَعْنَى حينئذ[53] بغيرِ إرادةِ الاستحقاقِ، لأنَّ المَقَامَ مَقَامُ إثباتِ المحموديَّةِ الكائنةِ من جهةِ جميعِ محامد من يَصِحُّ منه الحمدُ، ولا لسانَ في الأَزَلِ، فَعَلى هذا التَّقرير[54] لاحاجةَ إلى تكلُّفِ استفادةِ استحقاقِهِ الحمدَ مِنْ كونِ اللَّامِ الجارَّةِ[55] للاستحقاقِ بناءً على مذهب /[7و] فيه ما فيه.[56]

---

41 سعد الدين مسعود بن فحر الدين عمر بن برهان الدين عبد الله الهروي التفتزاني (ت 792هـ/1390م).

42 هو شمس الدين بن مصطفى الحاج حسن البلكسري الرومي (ت911 هـ/1505م). من أئمة العلاماء العثمانيين. له مصنفات مختلفة في علوم الإسلامية.

43 ج + سودها الفقير إلى الله الغني خضر بن محمود بن عمر العطوفي.

44 ج : بأن الحمد.

45 ج + على وجه الاختصاص

46 ج - شَيء.

47 ج + نما هو أصل معنى اللام خن الثقات.

48 ج - يجوز ان، صح هـ؛

49 ج + أعني المحمودية فيكون وصفًا للمحمود وكما في قوله تعالى: إنَّه حميد مجيد أما.

50 ج + تعالى في الأزل.

51 أ ب - حينئذٍ.

52 : ج: لله.

53 ج + حينئذٍ.

54 ج + كلِّو.

55 ج + موضوعة.

56 ب + فإن قلت: خلق يدل على وقوع الحمد بعد الخلق، فكيف يتصور الأزلية في الحمد أو في الاستحقاق؟ قلت: على تقدير الأزلية يكون خلق بمعنى يخلق؛ فكأنه قيل الحمد على حيث يكون منه الخلق وكثير من المستقبل يعبر عنه بلفظ الماضي في كلامه تعالى لاستواء الماضي في كلامه تعالى لاستواء الماضي والمستقبل في تحقق الوقوع بالنسبة إلى علمه تعالى، نحو قوله تعالى: ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض، ويجوز أن يكون خلق بمعنى الماضي الكائن بحسب علم المخاطبين على نهج سائر ألفاظ القرآن التي تدل على المعاني الحادثة غير القديمة، ويكفي مصحة وقوعه موقع المحمود عليه أن يكون بعض المحامد الحادثة بعد خلق السموات من جنس الحمد واقعا على خلق السموات مع أنه مع لم يذكر بلفظ على الوارد على المحمود عليه غالبا بل أتى تعالى بموصول هو صلته واصفا به ذاته تعالى ليتبينه العباد على استحقاقه الحمد من حيث الخلق والجعل وغاية الكريم. أو التنزه عن الإشراك فيكون وصفه تعالى ذاته تعالى بالذي خلق تنبيها للعباد على استحقاقه بحسب الايجاد وتعاليه به عن الإشراك، والتعالي بسبب الإيجاد الاختياري يكون من قبيل الأمر الاختياري فيصح أن يقع محمودًا عليه ولقائل أن يقولَ لما لايجوز أن يكون الذي خلق من قبيل المحمود به لا المحمود عليه المذكور في مقام الحمد على طريقة الوصفية صالح لكلّ منهما، ثم إن قلتَ هل يصحُّ أن يراد بخلق قُدِّرَ على الخلق ونفس القدرة أمر غير اختياريّ يحمد به ولايحمد عليه ؛إذ الحمد إنَّما هو على الأمر الاختياري ، أي بإزاء الأمر الاختياري ، قلت نعم يصح من حيث دلالتها على الأفعال الجميلة الاختيارية ، ففنس القدرة مؤولة حينئذٍ بالجميل الاختياري؛ ج + فإن قيل: كيف يناسب خلق ماضيا في الكلام الأزلي في مقام الإخبار عن استحقاقه تعالى الحمد على المذهب الأصح الذي هو عدم تقدير قولوا ولا خلق في الأزل قلنا: يكون خلق حينئذ بمعنى يخلق فكأنه قيل الحمد لله على أن يتحق وقوع الخلق منه وكثير من الأمور المستقبلة يعبر عنه بلفظ الماضي في كلام الأزلي لاستواء الماضي والمستقبل في تحقق الوقوع بالنسبة إلى علمه تعالى ونظيره ونفخ في الصور فصعق من في السموات والأرض، الآية، ويجوز أن يكون

وقوله لله، فيهِ دلالةٌ على استحقاقهِ لِلْحَمْدِ بحَسَبِ الذَّاتِ المُتَّصِفَة بجميع الصِّفاتِ، لا بِحَسَبِ وَصْفٍ دونَ وصفٍ ، وقولُهُ الَّذي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ تنبيهٌ على استحقاقهِ الحَمْدَ بِحَسَبِ وصفِ الخَلْقِ، وإنَّما جَمَعَ السَّمَاوَاتِ دونَ الأرضِ، وهي مِثْلُهُنَّ كما قال تعالى: ﴿خَلَقَ سَبْعَ سماواتٍ ومن الأرضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [الطَّلاق، 12/65] /[8ظ] وقد ورد في الأثرِ أنَّ الأرضَ سَبْعُ طبقاتٍ، وفي كلِّ طبقةٍ مخلوقاتٌ؛ لأنَّ طبقاتِ السَّمَوَاتِ مختلفةٌ بالحقيقةِ النوعيَّةِ، لأنَّها متفاوتةٌ بالآثار والحركاتِ.

وقد ورد الأثر بأنَّ السَّمَوَاتِ سَبْعٌ: الأولى من زُمُرُّدَةٍ خَضْرَاءَ، والثَّانيةُ من فضةٍ بَيْضاءَ،[57] والثَّالِثةُ من ياقوتةٍ حَمْرَاءَ، والرَّابعةُ من دُرَّةٍ بَيْضَاءَ، والخامسةُ من ذَهَبَةٍ /[8و] حَمْرَاءَ، والسَّادسَةُ من ياقوتةٍ صَفْرَاءَ، والسَّابعةُ من نُورٍ يَتَلَأْلأُ.

والأرضُ ليست بمختلفةٍ بالحقيقةِ النَّوعيَّةِ، فإنَّها نوعٌ، والماءُ نوعٌ آخَرَ، والهواءُ نوعٌ آخَرَ، والنَّارُ كذلِكَ، واختلافُهَا بالحقيقةِ النَّوعيَّةِ عند أهل الحقّ لايستدعي أَنْ يكونَ مَا به الإِخْتِلَافُ صُوَرًا نوعيَّةً،[58] كما هو زَعْمُ الفَلَاسِفَةِ، فإنَّ العناصِرَ الأربعةَ /[9ظ] تُعَدُّ أنواعًا عند المُتَكَلِّمِينَ، مع أنَّ الأَجْسامَ كُلَّهَا مُرَكَّبَةٌ من الأجزاءِ الَّتي لا تَتَجَزَّأُ، وهي الجَوَاهرُ الفَردَةُ عِنْدَهُم، وتَرَكُّبُ الجسمِ من الجزْءِ الَّذي لايتجزَّأُ، مَرْويٌّ عن قُدَماءِ الحكماءِ أيضاً، وقَدَّمَ السَّمَوَاتِ على الأرضِ، لأنَّها أجسامٌ لطيفةٌ شريفةٌ عالية، وساكِنُوها لايَعْصُونَ اللهَ ما أَمَرَهُم، وفيها جناتٌ هي مَقَاماتُ /[9و] الأنبياءِ والمرسلينَ، والشُّهَداءِ والصَّالحينَ، وفيها أنوارٌ وأمطارٌ فائضةٌ، فَتَحْصُلُ بركاتُ الأرضِ من جِهَتِهَا بسببِ الأَمْطَارِ والأنوارِ على طريقةِ جَرْيِ عَادَةِ الله تعالى في خَلْقِ المُسَبِبَاتِ عند أسبابها العاديَّةِ، وهو قادرٌ أيضًا على خلقِ خلافِ ما جُري عليه عادته تعالى، كلٌّ من العادة وخَرْقِهَا لمصلحةٍ عظيمةٍ تُعْرَف بالتَّأَمُّلِ.

/[10ظ] ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ [الأنعام، 1/6] قَولُهُ: جَعَلَ مِنَ الجَعْلِ الَّذي يتعدَّى لمفعولٍ واحدٍ بمعْنَى الإحداثِ والإيجادِ، لا مِنْ جَعْلِ الَّذي يتعدَّى إلى مفعولينِ بمعْنَى التَّصْيير، فإنَّ قلت: فما الفرقُ بين الخَلْقِ والجَعْلِ المتعدِّي إلى مفعولٍ واحدٍ؟ قلتُ: أصلُ معنى الخلْقِ إيجادُ الشَّيءِ بتقديرٍ صالحٍ، وأصلُ معنى الجَعْلِ جَعَلَ الشَّيْءَ من الشَّيءِ، فكان /[10و] فيه اعتبارُ شيئينِ، وارتباطٌ بينهما لا في الخلقِ؛ ولذا عُبِّرَ عن إيجادِ النّورِ والظُّلْمةِ بالجَعْلِ، تنبيهاً على أنَّهما لا يقومان بأنفسهما، كما زَعَمَتْ الثَّنَويَّةُ، فكأنَّهُ قال تعالى: خَلَقَ الأجسامَ الكثيفةَ الكثيرةَ الَّتي لها ظلٌّ وظُلْمةٌ، وخَلَقَ بعضًا من الأجسامِ اللَّطيفةِ الَّتي لها نورٌ وضَوْءٌ كالنَّارِ، فَبِسَبَبِ كَثْرَةِ مَحَالِ الظُّلْمَةِ وأسبابهَا جُمِعَتْ /[11ظ] وأُفْرِدَ النُّوْرُ، وبِهَذَا السَّبَبِ قُدِّمَتْ عَلَيْهِ أَيْضاً وَجْهٌ آخَرَ ، أَنَّ الظُّلْمَةَ لَهَا وَقْعٌ في النُّفُوْسِ بِسَبَبِ نَفْرَتْهَا عَنْهَا، فَيَطْلُبُ زَوَالَهَا بالنُّوْرِ فِي الغَالِبِ، فَالْوَاقِعُ المَطْلُوْبُ زَوَالُهُ قَبْلَ المُزِيْلِ عِنْدَ عُقُوْلِ الطَّالِبِيْنَ، فَيُسَاقُ الكَلَامُ البَلِيْغُ على مَا فِي عُقُوْلِ المُخَاطَبِيْن، وهُوَ التَّقَدُّمُ بِهَذَا الوَجْهِ، لا بِالْعَدَمِيَّةِ[59] عَلَى أَنَّ ظُلُمَاتِ العَالَمِ وإِنْ كَانَتِ عَدَمِيَّةً غَيْرَ/[11و] مَوْجُوْدَةٍ؛ لَكِنَّهَا بِتَبِعِيَّتِهَا لِلأَجْسَامِ وبِمَنْعِهَا عَنِ الأَبْصَارِ صَارَتْ كَأَنَّهَا أمورٌ محقَّقَةٌ عِظَامٌ فلا تُعْتَبرُ عدميّةُ أمثالِ هذهِ في طريقِ المخاطبةِ البليغةِ والمكالمةِ الفصيحةِ، فلكلّ مقامٍ مقالٌ، لا يخفَى على أهلِ البالِ، وفي كونِ الظُّلمةِ عدمُ الملكةِ كالعَمَى، نظرٌ لا يخفَى على المتأمّلِ في مفهومهِ،[60] وباللهِ السّدادُ، ومنهُ الرَّشادُ.

/[12ظ] ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام، 1/6] قولهُ: ثمَّ عطفٌ لما بعده على قولهِ الحمدُ للهِ، على معنَى: أنَّ اللهَ تعالى حقيقٌ بالحمدِ على ما خلقهُ إنعاماً على عبادهِ، ﴿ثمَّ الذينَ كفروا بربِّهِم يعدلون﴾ فيكفرونَ بنعمتهِ،

خلق بمعنى الماضي الكائن بحسب علم المخاطبين على نهج سائر ألفاظ القرآن التي تدل على المعاني الحادثة غير القديمة هذا لا يخفى عليك أن المحمود عليه لا بد أن يكون أمرا جميلا اختياريا ويمكن أن يكون جميع ما ذكر ههنا من خلق السماوات وجعل الظلمات وغاية كرمه أو تنزهه تعالى بحسب خلق السماوات والأرض عن الاشتراك به المستفاد من ثمّ للاستبعاد والخلق من الطين وغيرها على احتمال أن يراد بما ذكر في الآيات الثلاث توصيف الله الذي أخبر بأنه المستحق للحمد الكامل ولو بنوع تأويل في بعضه من قبيل الجميل الاحتياري مكن للبحث هنا مجالا بأن يقال لم لا يجوز أن يكون ما ذكر هنا من قوله تعالى الذي خلق وغير مما يصلح للوصفية محمودا به وكل ما هو مذكور على طريقة الوصفية في مقام الحمد صالح لأن يكون محمودا به فكيف يحصص من حصصه يكون محمودا على هذا.

[57] ج- بَيْضاءَ.
[58] ب - جَوهَرِيَّةً.
[59] ج + التقدم.
[60] ب ج - في مفهومهِ.

ويكونُ ذكرُ الرَّبِّ مُظْهِراً الذي هو في الأصلِ بمعنى التَّربيَّةِ، مضافاً إليهم في موضعِ الإضمارِ تنبيهاً على أنَّهُ خلقَ تلكَ الأشياءَ /[12و] لمصلحتهم وتربيتهم، فمن حقِّهِ تعالى أنْ يُحمدَ عليها، ولا يُكفرَ، أوعطفٌ على قولهِ خلقَ، ويصحُّ أن يكونَ قولهُ: ثمَّ الّذينَ صلةً، ومحموداً عليهِ من حيثُ التعظيمُ والتَّنزيه، المفهومُ[61] من استبعادِ مضمونِ ما بعده، فكأنَّهُ قيلَ: الحمدُ للهِ الذي تعالى عنْ أنْ يكونَ الذينَ كفرُوا بهِ يعدلونَ، فالباءُ على هذا الوجهِ متعلِّقةٌ بيعدلونَ على أنْ يكونَ /[13ظ] يعدلونَ منَ العدلِ بمعنى التّسويّةِ، فالمعنى: ثمَّ الكفّارُ يعدلونَ بربّهم الأوثانَ أيْ يسوّونَها بهِ، معَ أنّهُ لا قدرةَ فيْها على شيءٍ ممَّا خلقهُ اللهُ تَعَالى، وعلى الوجهِ الأوَّلِ بكفروا على أنْ يكونَ يعدلونَ منَ العُدُولِ بمعْنَى الإعراضِ، فالمعنى: ثمّ الّذينَ كفروا بربّهم يعدلونَ عنهُ أيْ عنْ حمدهِ فيكفرونَ بنعمتهِ، ويجوزُ أنْ تكونَ الباءُ على الوجهِ /[13و] الأوَّلِ بيعدلونَ أيضاً، على معنى أنَّ اللهَ حقيقٌ بالحمدِ على ما خلقهُ إنعاماً على عبادهِ، ثمّ الّذين كفروا يسوّونَ بربّهِم الأوثانَ، فيخلّون بحمدِ من يُرَبّيهم ويُنعمُ عليهم، فيكفرونَ بنعمتهِ.

فإنْ قلتَ: كيفَ تستلزمُ التسويةُ المذكورةُ الإخلالَ بالحَمدِ؟ قلتُ: لأنَّ الذينَ يسوّونَ بربّهم الخالقِ الأوثانَ الجامدةَ المخلوقةَ العاجزةَ من حيثُ عبادتُهُم /[14ظ] إيّاهُ[62] الدّالّةُ على التّسويّةِ، لا تكونُ[63] محامدهم محامدَ حقيقةً، لخلوّ بواطِنِهم، بسبَبِ تسويتهم وإشراكهم منَ التّعظيمِ والتّبجيلِ، والحمدِ ما يكونُ على جهةِ التّعظيمِ، فعلى هذا ينتظمُ الكلامُ ويندفعُ ماقيلَ.

لو قيلَ:[64] عدلَ الكافرونَ بربّهم شيئاً مع أنّهُ حقيقٌ بالحمدِ لا ينتظمُ الكلامُ مع ماقبله؛ لإنَّ المعنى حينئذٍ، عدلَ الكافرونَ بربّهم شيئاً فاخَلّوا بحمدهِ /[14و] مع أنّهُ حقيقٌ بالحمدِ. ويجوزُ على الوجهِ الثّاني أنْ تكونَ الباءُ متعلّقة بكفروا أيضاً، فكأنّهُ قيلَ: الحمدُ لله الّذي تعالى بقدرتهِ على ما لا يقدرِ عليهِ أحدٌ سواهُ عن أنْ يكونَ الّذينَ كفروا بربّهم يعدلونَ عنْ ربّهم الخالقِ القادرِ، فيسوّونَ بهِ مالا يربّيهم ولا يقدرُ على شيءٍ، وعُدُولُهُمْ عن القادرِ وتَسْوِيَتُهُم به العاجزَ من حيثُ تعظيمُهُم الأوثانَ /[15ظ] على وجهِ العبادةِ وإطلاقُ اسمِ الآلهِ.

وإن كانوا يقولونَ ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ اِلَّا لِيُقَرِّبُونَا اِلَى اللهِ زُلْفٰى﴾ [الزُّمر، 3/39] فعُلِمَ من التقريرِ المذكورِ أنّ تخصيصَ تعلّقِ الباءِ على الوجهِ الأوَّلِ بكفروا، وعلى الوجهِ الثّاني بيعدلون، من العدلِ بمعنى التّسويةِ كما صرَّح به البيضاويّ فهماً من سياقِ الزّمخشريّ، واستَصْوَبَهُ مولانا المحشّي المعروفُ بالحاجّ حَسَنْ زاده، رحمهمُ اللهُ /[15و] تخصيصٌ بلا مخصّصٍ، كما هو مختارُ السّعدِ التفتازانيّ، رحمه اللهُ رحمةً واسعةً؟

بَقِي هنا شيءٌ وهو أنّهُ تُحْملُ[65] ثمّ على الاستبعادِ لِتتَحقّقَ مناسبةُ ما بعدَها لما قبلَها، على الوجه الأوَّلِ، وليصحَّ كونُ مابعدَها صلةً مستقلّةً، على الوجه الثّاني، لا على التّراخي في الزمانِ، فإنَّ استقامةَ[66] المعنى اللّغويّ بحسبِ التّراخي الزّمانيّ لا يستلزمُ استقامةَ المعْنى /[16ظ] المرادِ القرآنيّ، وموافقتَهُ بالمقامِ بحسبِ الارتباطِ السّباقيّ، والسّياقيّ والبلاغةِ القرآنيَّةِ، الّتي لا يصحُّ خروجُ آيةٍ منَ القرآنِ العظيمِ منها، فلا يجوزُ أن يقالَ: معنى التّراخي مستقيمٌ موافقٌ بالمقامِ، لكنَّ الاستبعادَ أوفقُ بهِ هنا على تقديرِ أنْ يكونَ المعطوفُ بثمّ صلةً برأسهِ، وأمّا على تقديرِ أنْ لا يكونَ المعطوفُ بثمَّ صلةً برأسهِ؛ بل يكونَ داخلاً تحتَ الصّلةِ، /[16و] كما هو مصرّحٌ بهِ في كلامِ السّعدِ التفتازانيّ، فاستقامةُ معنى التّراخي الزّمانيّ، وموافقتهُ بالمقامِ ظاهرةٌ.

ولقد أتى مولانا المحشّي شيئاً عجيباً حيثُ قالَ: وإنّما لم يحملهُ على التّراخي مع استقامتهِ، لكونِ الاستبعادِ أَوْفَقَ بالمقامِ، يتْبَعُ في هذا القولِ السّعدَ التفتازانيَّ، ولم يشعر أنَّ قولهُ، بناءٌ على ما ذهبَ إليهِ منْ كونِ المجموعِ صلةً واحدةً وهو/[17ظ] لم يرضَ بهِ، وقصدَ تزْييفهُ بقولهِ: ولا يذهبُ عليكَ أن جعلهُ جزءاً من الصّلةِ الّتي وقعَ الحمدُ بإزائِهَا، إنّما يَحْسُنُ إذا كانَ لهُ دخلٌ في الحمدِ؟

[61] ج: المفهم.
[62] ج: أياها.
[63] ج: يكون.
[64] ج - لو قيلَ.
[65] ج: لـم يحمل.
[66] ج - استقامةَ.

واعلمْ أنّهُ ذكرَ السّعدُ التفتازانيُّ الاعتراضَ[67] في العطفِ على الصّلةِ، بأنّهُ لا معنى لقولنا: الحمدُ للهِ الّذي عدَلوا بهِ شيئاً، وأجابَ: بأنَّ هذا العطفَ ليسَ على قصدِ أنَّهُ صلةٌ واحدةٌ برأسهِ ليتوجّه الاعتراضُ؛ بل هوَ داخلٌ تحتَ /[17و] الصّلةِ بحيثُ يكونُ المجموعُ صلةً واحدةً، كأنّهُ قيلَ: الحمدُ للهِ الّذي كانَ منْهُ الإنعامُ العامُّ ثمَّ منَ الكفرةِ الكفرانُ التّامُّ، فحاصلُ المعنى الحمدُ للهِ الّذي خلقَ السّمواتِ والأرضَ إنعاماً على جميعِ عبادِهِ، ثمَّ أعداؤهُ الكفرةُ منهم يستمرونَ في تسويةِ الأوثانِ بهِ تعالى والإشراكِ، فكأنَّ الصِّلةَ هي عمومُ الإنعامِ التّامِّ، ونظيرهُ في المعنى بالفارسيّةِ المنظومةِ ببيت:[68]

أي كريمي أز خزانه غيب * كبر وترسا وظيفة خوار داري

/[18ظ] وبهذا التقريرِ الكائنِ في توجيهِ كلامِ السّعدِ التفتازانيّ، يظهرُ قبحُ كلامِ من قالَ: ولا يذهبُ عليكَ أن جعلهُ جزءًا من الصّلةِ الّتي وقعَ الحمدُ بإزائِها، إنّما يَحْسُنُ اذا كانَ له دَخْلٌ في الحمدِ، وأمّا قولُ مولانا المحشّي رحمهُ اللهُ في بيانِ أنَّ تخصيصَ تعلُّقِ الباءِ على الوجهِ الأوَّلِ بكفروا /[18و] وعلى الوجهِ الثّانِي بيعدلونَ ليسَ بتخصيصٍ بلا مخصّصٍ؛ بل هو تخصيصٌ بمخَصّصٍ؛ لأنَّ في خلقِ السَّمواتِ والأرضِ جهتينِ: جهةَ كونهِ نعمةً عامّةً، وجهةَ كونهِ مقدوراً للهِ تعالى خاصّةً.

وقد عرفتُ أنّ معنى قولهِ الحمدُ للهِ الإخبارُ بأنّهُ حقيقٌ بالحمدِ على تلكَ النّعمةِ، فالمناسبُ لعطفِ جملةِ ثمَّ الّذينَ كفروا على ذلكَ الإخبارِ اعتبارُ الجهةِ الثانيةِ[69] الأولى واستبعادُ عُدُولِهِم /[19ظ] عن ربهم وكفرانُ نعمتهِ، فيصيرُ الحاصلُ عَدَلَ الكافرونَ عن حمدهِ عليها، مع أنّهُ حقيقٌ بالحمدِ، وهو كلامٌ منتظمٌ مع ما قبله، والمناسبُ لعطفها على الصلةِ اعتبارُ الجهةِ الثانيةِ، واستبعادُ تسويتهم الأوثانَ الّتي هي جماداتٌ لاتقدرُ على شيءٍ بربّهم الخالقِ لتلكَ الأجسامِ العظامِ؛ لأنَّ ظاهرَ الصِّلةِ الدّلالةُ على تلكَ الجهةِ،[70] وأمّا على كونِ الخلقِ نعمةً فاعتبارِ وقوعها /[19و] موقعَ المحمودِ عليهِ، فالعطفُ عليها يناسبهُ الارتباطُ بظاهرها، ففيهِ بحثٌ، أمَّا قولهُ فالمناسبُ لعطفِ جملةِ ثمَّ الّذينَ كفروا على الإخبارِ اعتبارُ الجهةِ الأولى، فليسَ بصوابٍ على ما عُلِمَ منَ التقريرِ المذكورِ، بل الصوابُ أن يقولَ: فالأنسبُ والأظهرُ لعطفِ جملةِ ثُمَّ.

وأمّا قولهُ: والمناسبُ لعطفها على الصّلةِ اعتبارُ الجهةِ الثانيةِ، يعني: لا اعتبار الجهةِ الأولى، فغيرُ مُسَلَّمٍ /[20ظ] فإنَّ لاعتبارِ الجهةِ الأولى على تقديرِ العطفِ على الصّلةِ وجهينِ مناسبينِ أيضاً، أحدهما كونُ مجموعِ المعطوفِ عليهِ، والمعطوفِ صلةٌ واحدةٌ كما بُيِّنَ سابقًا، والوجهُ الثاني أن يكونَ حاصلُ المعنى الحمدُ للهِ الّذي كانَ منهُ الإنعامُ العامُّ التّامُّ وتعالى بذلك الإنعامُ عنْ أنْ يكونَ الّذين كفروا بهِ يعدلونَ عنهُ أي عن ربّهم المنعمِ التّامِّ، /[20و] فيسوّون بهِ مالا يربّي أحدًا، ولا يُنْعِمُ على أحدٍ، ولا ينفعُ أصلًا.

ولو سُلِّمَ كَوْنُ المناسبِ لعطفها على الصّلةِ اعتبارَ الجهةِ الثانيةِ، فلا نسلِّمُ استلزامه عدمَ جوازِ تعلُّقِ الباءِ بكفروا بناءً على ماذكرتُ في وجهِ جوازِ تعلُّقِ الباءِ بكفروا على تقديرِ العطفِ على الصّلةِ، وأمّا قولهُ: لأنَّ ظاهرَ الصّلةِ الدلالةُ على تلكَ الجهةِ، أي الجهةِ الثانيةِ، فليسَ بظاهرٍ؛ بل الظاهرُ/[21ظ] أنَّ ظاهرَ الصّلةِ الدّلالةُ على الجهةِ الأولى، كما صرَّحَ به[71] السَّعدُ التفتازانيُّ، بقوله: لظهورِ أنَّ هذا الحمدَ على النِّعمةِ دونَ الأوصافِ والأفعالِ الكماليّة بقرينةِ المقامِ، فإنّ خَلْقَ السّماواتِ من الغنيِّ المطلقِ لا يكونُ إلّا إنعامًا لِيَحْصُلَ تَكوينُهُم وتعيُّشُهُم، فيكونوا عالمينَ عاملينَ، ورُويَ لولاك لما خَلَقْتُ الأفلاكَ.

[67] ج: الإعراض.
[68] البستان وكول ستان، ترجمة رفعت بلقه الكليسي، الشيرازي، الشيخ السعدي، مطبعة الظفر، اسطنبول، 1980 م، 309.
[69] ب ج - الثانية.
[70] ب - لأنَّ ظاهرَ الصِّلةِ الدّلالةُ على تلكَ الجهةِ.
[71] ج - به.

ومعنى الإنعامِ من اللهِ تعالى خلقُ الأشياء /[21و] لمصالحِ العبادِ، فالسّماءُ سقفٌ، والأرضُ مهادٌ، والشمسُ سراجٌ مثلاً، وبقرينةِ ذكرِ النُّورِ بعد ذكرِ الظلماتِ، وبقرينةِ بريّهم، وأمّا[72] قولهُ: وأمّا على كونِ الخلقِ نعمةً فباعتبارِ وقوعِها موقعَ المحمودِ عليهِ بِـحَسَنٍ؛ إذ لا دخلَ لاعتبارِ وقوعِها موقعَ المحمودِ عليهِ في كونِ الخلقِ نعمةً، لأنَّ المحمودَ عليهِ قد يكونُ غيرَ النِّعمةِ، وأمّا قولهُ: فالعطفُ عليها يناسبهُ /[22ظ] الارتباطُ بظاهرها فليسَ بسديدٍ، فإنّهُ يجوزُ أنْ يكونَ العطفُ عليها يناسبهُ الارتباطُ بغيرِ ما يزعمُ هو أنَّهُ ظَاهِرُها، وهو كونُ الخلقِ نعمةً الّذي هوَ الظّاهر في نفسِ الأمرِ على ما ذكرَ سابقًا.

ثمَّ اعلم أنَّهُ إنَّما يفسَّرُ قولهُ تعالى: ﴿الحمدُ للهِ الّذي خلقَ السّمواتِ والأرضَ﴾ بأنَّ الحمدَ للهِ على خلقِ السّمواتِ فيجعلُ المذكورَ على وجه الوصفيّة محمودًا عليهِ، لأنَّ المتبادَر/[22و] إذا قيلَ: الحمدُ للخالقِ أو للرازقِ وهو أن يحمدَ على الخلقِ والرّزقِ، وإنَّما يفسَّر هو أيضاً بأنَّ الحمدَ للهِ على ما خلقهُ إنعاماً على عبادهِ، والحمدُ قد يكونُ على غيرِ النِّعمةِ كالقدرةِ الْمُنْضَمَّةِ إلى الإرادةِ في خلقِ السَّمواتِ لظهورِ أنَّ هذا الحمدَ على النِّعمةِ دونَ مجرَّدِ الأوصافِ والأفعالِ الكماليّةِ.

ومن القرائنِ الدالَّةِ عليهِ أنَّهُ تعالى ذكرَ الرَّبَّ مظهرًا دونَ غيرهِ/[23ظ] من نحوِ القادرِ أو العالمِ في موضعِ الإضمارِ، والرَّبُّ في الأصلِ بمعنى التَّرْبِيَّةِ،[73] هي تبليغُ الشيءِ إلى كمالهِ شيئًا فشيئًا، وتربيةُ اللهِ تعالى خَلْقَهُ أسبابَ التَّعَيُّشِ والنُّشُوءِ والنَّماءِ، وسائرِ أسبابِ الكمالِ على جهةِ الإنعامِ، لا خلقهُ على غيرِ جهةِ الإنعامِ، كإظهارِ القدرةِ مثلاً، وإن كانَ ظهورُ القدرةِ لازمًا للخلقِ.

ثمَّ اعلمْ أنَّ الحقَّ الواضحَ عندَ المتأمِّلِ /[23و] في أساليبِ التراكيبِ، أنَّ سوقَ الزمخشريّ كلامهُ على تعلُّقِ الباءِ في الوجهِ الأوَّلِ بكفروا ويعدلونَ منَ العدولِ، وفي الوجهِ الثّاني بيعدلونَ ويعدلون من العَدْلِ، بمعنى التَّسْوِيَّةِ؛ إنَّما هو بناءٌ على الأظهرِ الأقربِ إلى تبادرِ الفهمِ كما هو دأبُهُ في كثيرٍ منَ المواضعِ، وليسَ بتخصيصٍ في الحقيقةِ، فلا يُرَدُّ عليهِ إنَّه تخصيصٌ بلا مُخَصِّصٍ إلَّا على ظاهرِ كلامهِ نعمْ يُرَدُّ /[24ظ] على كلامِ البيضاويّ رحمهُ اللهُ، أنّهُ تخصيصٌ بلا مخصِّصٍ، فلينظرْ في كلاميهما، لِيُظْهِرَ حقيقةَ ماقلتُ بتوفيقِ اللهِ العليمِ الكريمِ.

﴿هُوَ الَّذى خَلَقَكُمْ مِنْ طينٍ﴾ [الأنعام، 2/6] أيْ خلقكمْ من الماءِ الّذي هوَ النطفةُ الحاصلةُ منَ البشرِ، الّذي خُلقَ أصلهُ منَ الطِّينِ، وقيلَ: معنى خلقكم من طينٍ خلقكم منَ النطفةِ الحاصلةِ منَ الدَّمِ الحاصلِ[74] منَ الغذاءِ النَّباتيّ /[24و] الحاصلِ من الطين، أو من الغذاء الحيواني الحاصل[75] من النباتِ الحاصلِ من الطِّينِ، وقيلَ: معنى خلقكم خلقَ أباكُم؛، يعني آدمَ من طينٍ على حذفِ المضافِ، لمّا كانَ أصلُ الذّينِ أمرَينِ، أحدهما توحيدُ الحقّ تباركَ وتعالى، مع اعتقادِ أنَّهُ[76] تعالى متّصفٌ بالصِّفاتِ اللائقةِ الّتي يُحمدُ بها، لا يشاركهُ ولا يساويهُ شيءٌ من الأشياءِ، والثّاني اعتقادُ أنَّ اللهَ تعالى قادرٌ على البعثِ أي إحياءِ الأمواتِ[77] /[25ظ] أنزلَ اللهُ تعالى الآيةَ الأولى، تدلُّ على الأمرِ الأوَّلِ دِلالةً سمعيّةً، وعقليّةً تنبيهيّةً، وأنزلَ تعالى هذهِ الآيةَ تدلُّ على الأمرِ الثّاني، لأنَّ فيها دلالةً على إحياءِ الطِّينِ، وإبقائهِ حيّاً على قدرِ ما يشاءُ من الأعمارِ، والآجالِ.

﴿ثُمَّ قَضٰى اَجَلًا وَاَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ﴾ [الأنعام، 2/6] قولهُ: ثمَّ للتَّراخي الزَّمانيّ على تقديرِ أن يكونَ المرادُ بالقضاءِ هو الّذي يكونُ بعدَ ما كَمُلَ الخلقُ في /[25و] بطنِ الأمِّ، ويحتملُ أنْ يكونَ ثمَّ للتّراخي في الإخبارِ، أي للفصلِ بينَ ذلكَ الخبرِ وبينَ هذا الخبرِ، تعظيماً لشأني الخَبَرَيْنِ، بحسبِ المعنَى كأنَّهُ قيلَ: بعدما أُخبرتم بأنَّهُ هوَ الّذي خلقكم من طينٍ، وتَدَبَّرْتم في معناهُ كما ينبغي، أُخْبركم بأنَّهُ قضَى أجلاً، وقولهُ: قضَى القضاءُ معناهُ بحسبِ اللّغةِ، يُنبئ عنِ الإتمامِ والإحكامِ، وقيلَ: يستعملُ بمعنى الحكمِ وبمعنى الأمرِ، فَعَلى /[26ظ] تقديرِ أنْ يكونَ المرادُ بهِ

---

[72] ج - أمّا.
[73] ج -التي .
[74] ج - منَ الدَّمِ الحاصلِ.
[75] ب ج + من الطين أو من الغذاء الحيواني الحاصل.
[76] ج: اعتقاداته.
[77] ج: الموتى.

الإحكامُ على وجهٍ لا تغييرَ فيهِ لأحدٍ، أو الحكمَ، أو الأمرَ، أو الإتمامَ، أو الفصلَ، أي فصلُ الأمرِ سواءٌ كانَ بقولٍ، أو فعلٍ، يكونُ دليلاً على أنَّ المقتولَ ميّتٌ بأجلِهِ.

وقولهُ أجلًا وأجلٌ، إلخ: الأجلُ الأوَّلُ أجلُ الموتِ، أي وقتٌ معيَّنٌ فيهِ ابتداءُ الموتِ، والأجلُ الثّاني هو أجلُ القِيَامَةِ، أي وقتٌ معيَّنٌ فيه ابتداءُ البعثِ، /[26و] فقولهُ أجلٌ نكرةٌ مخصَّصةٌ موصوفةٌ بأنَّهُ مسمًّى أي مُثْبَتٌ معيّنٌ لا يقبلُ التَّغَيُّر، فكانَ في حكمِ المعرفةِ، فلم يكن من عدادِ المبتدأِ النّكرةِ الّذي وجبَ تأخيرهُ عن الظّرفِ الّذي هوَ خبرهُ، كتأخيرِ المبتدأِ في قولكَ عندي غلامٌ، فصحَّ أنْ يكونَ مبتدأً مقدمًا مع كونِ خبرهِ ظرفًا، فإنْ قلتَ ما ذكرتَهُ مجوّزٌ للتقديمِ فما الموجبُ المرجّحُ للتَّقديمِ /[27ظ] مع أنَّ الكلامَ الدَّائرَ بينَ الفصحاءِ عندي ثوبٌ جيّدٌ، وعندي غلامٌ كيّسٌ، قلتُ أوجبَ التَّقديمَ هنا المعنى الاستفهاميُّ في أجلٍ مسمّى بسببِ تنكيرهِ، فالمعنى أي أجلٌ مسمًّى فتنكيرُ أجلٍ على إرادةِ المعنى الاستفهاميّ المقتضى للتقديمِ إنّما هو لتعظيمِ شأنِ السّاعةِ، ومن الحالةِ المقتضيةِ لتقديمِ هذا المبتدأِ على خبرهِ الاهتمامُ الكائنُ بمجردِ قصدِ التَّعظيمِ /[27و] لشأنِ السّاعةِ.

وكذا الاهتمامُ من حيثُ إنَّهُ مقصودٌ أصيلٌ في البيانِ، وإن كانَ خبرهُ مقصودًا،[78] وقولهُ تعالى: ﴿وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ﴾، أي وأجلٌ ثابتٌ معيّنٌ كائنٌ عندهُ لا مَدْخَلَ لغيرهِ تعالى فيهِ بقدرةٍ، ولا بعلمٍ بخلافِ أجلِ الموت، فإنّه قد يُؤَخَّرُ كمن صرفَ قدرتَهُ إلى التَّصدُّقِ، فزادَ عمره كما ورد في الأحاديثِ الصَّحيحةِ، وقد يُقَدَّم كما في صورةِ القتلِ /[28ظ] وإنّه قد يُعْلَمُ وقتُه بوحيٍ، أو إلهامٍ، أو رؤيا صالحةٍ، أو علاماتٍ دالّةٍ بدنيّةٍ، وأصلُ المعنى: وأيُّ أجلٍ مثبتٍ معيّنٍ لا يَقْبَلُ التَّغيّرَ أي أَجَلُ القيامةِ الّذي هو البعثُ عَقِيبَ نفخةِ القيامَةِ الأخيرة التابع لأجلِ القيامةِ الّذي هو هلاكُ النّاسِ عَقِيبَ النَّفخةِ الأولى كائنٌ عند خالقكم من الطِّينِ وقاضي آجالكم، فمعنى كونُ أَجَلُ القِيْامَةِ عند اللهِ تعالى، كونُ عِلْمُ اللهِ تعالى /[28/و] وإرادتهُ تعالى، وأمرُهُ تعالى محيطٌ به لا يتعدَّاها بوجهٍ من الوجوهِ ،وبما ذكرتُ ظهر الفَرْقُ بين الأجلين، وظهرَ ضعفُ قولِ مَنْ قال: ولم يُقَيَّدْ أَجلُ الموتِ بكونهِ عندَهُ كما قُيِّدَ الأجلُ المسمَّى به إشارةً الى الفَرْقِ بينهما بأنَّ الأوّلَ لا يُنْكِرُهُ أحدٌ؛ بل كلٌّ يجزمُ بعدمِ بلوغه إلى بعض المراتب من الأعمارِ المتطاولةِ بحَسَبِ عادةِ الله في امتدادِ العُمْرِ وانقطاعهِ لأهلِ زمانهِ /[29ظ] عند ذلك يتعيَّنُ الموتُ بخلافِ الثَّاني. انتهى مقالهُ.

فَلِقَائلٍ أَنْ يقولَ هذا وجهٌ غيُر وجيهٍ، فإنَّ أجلَ الموتِ مُقَيَّدٌ بكونهِ عندَ اللهِ بجهةِ إسنادِ قضاءِ الأجلِ إلى الله تعالى كما قُيِّدَ الأجُلُ المسمَّى غايةُ ما في البابِ أَنَّه لم يَذْكُرِ التَّقْيِيدَ فيه بلفظٍ عندَهُ، وإنَّما ذَكَرَ بلفظٍ عندهُ في الأجلِ المسمَّى للدِّلالةِ على الحصرِ والاختصاصِ بِحَسَبِ العلمِ /[29و] والقدرةِ فيه، ولا حَصْرَ في أجلِ الموتِ كما بُيِّنَ آنفًا، وقيلَ :الأجلُ الأوَّلُ ما بينَ أَنْ يُخْلَقَ إلى أَنْ يموتَ، أَيْ الوقتُ المُمْتَدُّ الَّذي فيه الحياةُ والموتُ، كما في قولهم: أَجَلُ الدَّيْنِ سنةٌ، والأَجَلُ الثَّاني[79] ما بينَ الموتِ والبعثِ، وهو البَرْزَخُ، فإنَّ الأجلَ كما يُطْلَقُ لآخرِ المُدَّةِ يُطْلَقُ على جميعها، وقيلَ: الأَجَلُ الأوَّلُ النومُ، والأَجَلُ الثَّاني الموتُ، فَعَلَى /[30ظ] هذا الوجهِ أُطِلقَ كُلٌّ من الأجلينِ على ما يقعُ في الوقتِ مجازًا، لا[80] على نفسِ الوقتِ الَّذي هو المفهومُ بحَسَبِ اللُّغةِ، فإنَّ الأجلَ في اللُّغةِ: هو الوقتُ المَضْرُوبُ لانقضاءِ الأمرِ، وأَجلُ الإنسانِ هو الوقتُ لانقضاءِ عُمْرِهِ، وأَجَلُ الدَّيْنِ مَحِلُّهُ لانقضاءِ التَّأْخِيرِ.[81]

يقالُ: أَجَلَ الشّيءُ يأَجُلُ أُجُولًا، أيْ تَأَخَّرَ، وقيل: الأَجَلُ الأَوَّلُ لمنْ مَضَى، والأَجَلُ الثَّاني لمنْ بَقِيَ، ولمنْ يأتي ويَقْرُبُ مِنْ هذا /[30و] القَيْلُ ما قيلَ: إنَّهُ يُحْتَمَلُ أنْ يكونَ المرادُ بالأجلِ الأوَّلِ أَجَلُ الموتِ العاديّ، و بالأجلِ الثَّاني أجلُ القيامةِ، أي أجلُ الموت العظيم الغير العاديّ الدفعيّ بنفخةِ القيامَةِ الأولى، فالمعنى: وأيُّ وقتٍ هلاكٍ عظيمٍ لمنْ شاءَ اللهُ مُثْبَتٌ مُعَيَّنٌ لا يَقْبَلُ التَّغَيُّرَ كائنٌ عِنْدَهُ لا مَدْخَلَ لغيرهِ فيه بِعِلْمٍ، قال الله تعالى: إنَّما علمُهَا عندَ ربي لا تأتيكم إلَّا بغتةً إنَّما عِلمُهَا /[31ظ] عندَ اللهِ ولا بقدرةٍ بخلافِ الموتِ العاديّ، فإنَّهُ يجوزُ فيهِ العلمُ ونوعُ تأثيرٍ من غيرهِ تعالى كما في صورةِ التصدّقِ وصورةِ القتلِ.

[78] ج + أيضًا.
[79] ج - الثاني.
[80] ج - لا.
[81] ب + وأصل معناه: من التأخير؛ ج + وأصل من التأخير.

فإن قلتَ إذا كُرِّرَ الشَّيْءُ مُنَكَّرًا يكونُ المرادُ بالثّاني غيرَ الأوّلِ، كقولكَ أكرمتُ رجلًا، وأهَنْتُ رجلًا، فالمرادُ بالرّجلِ الثّاني غيرُ الرّجل الأوّل فعلى ما ذُكر من احتمالِ أن يكون المرادُ بالأجلِ الأوّلِ أجلَ الموتِ العاديّ، وبالأجلِ /[32و] الثّاني أجلَ الموتِ غيرَ العاديّ، يكونُ مآلُ مَعْنَيَي الأجلينِ وقتَ انقضاءِ عمرِ الحياةِ، فلا يكونُ الأجلُ الثّاني المُنَكَّرُ غيرَ الأجلِ الأوّلِ، وهو خلافُ الأسلوبِ المقرَّرِ، قلتُ: المرادُ بالأجلِ الأوّلِ الوقتُ المعيَّنُ لموتِ كلِّ ما يميتهُ اللهُ تعالى على ما جرت عليهِ عادتَهُ تعالى عندَ أسبابٍ معروفةٍ عاديّةٍ مألوفةٍ، من الأسقامِ وغيرها، وبالأجلِ الثّاني هو الوقتُ المعيَّنُ /[32ظ] للموتِ الدَّفعيّ غيرِ العاديّ، في كلِّ ذي روحٍ عندَ سببٍ غيرِ مألوفٍ، هو نفخةُ القيامةِ، قالَ اللهُ تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِى الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِى السَّمَٰوَاتِ وَمَنْ فِى الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ﴾ [الزمر، 68/39] فإذا كانَ الموتُ الثّاني غيرَ الموتِ الأوّلِ، بهذا الاعتبارِ الواضحِ كانَ الظَّرفُ لأحدهما مغايرَ الظَّرفِ الآخرِ مغايرةً ظاهرةً، وإن صدقَ على كلٍّ منها إنَّهُ وقتُ الموتِ فما بينهما كما بينَ السّماءِ /[32و] والأرضِ.

﴿ثُمَّ اَنْتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ [الأنعام، 2/6] أي تشكُّونَ في أجلِ القيامةِ الّذي هوَ البعثُ، أو الهلاكِ العامِّ المسْتَتْبِع للبعثِ والإحياءِ، قالَ اللهُ تعالى: لا تأتيكم إلا بغتة وجيءَ بثمَّ "لاستبعادِ امترائِهم بعدما ثبُتَ، وظهر أنَّهُ تعالى خالقُهُم، وخالقُ أصولِهِم ومحْييهِم إلى آجالهم، فإنَّ من قدِرَ على خلقِ الموادِّ وجمعِها، وإبداعِ الحياةِ أوّلًا، وإبقائها ماشاءَ اللهُ كانَ أقدرَ /[33ظ] على جمعِ تلكَ الموادِّ وإحيائِها ثانيًا،" كما هو المعلومُ المألوفُ عندَهم في القدرة[82] الحادثةِ الكائنةِ فيهم، فإنَّ مَنْ صوّرَ فرساً مثلًا، يكونُ أقدرَ على تصويرهِ ثانيًا منه على تصويره الأوَّلِ، كما يقالَ بالفارسيّةِ ونقاش نقش آخر بهترکشد زاول، وإن كانت قدرةُ اللهِ تعالى القديمةُ مستويةً في الكمالِ بالنسبةِ إلى جميعِ مقدوراتهِ الأوليّةِ والآخريّةِ، مع أنَّ[83] عَجْبَ الذَّنَبِ /[33و] من البدنِ كالنَّوى الّتي يحصلُ منها الشَّجرُ، أقبلُ لتأثيرِ الفاعلِ منَ المادةِ الأولى الّتي هي الحمأُ المسنونُ، وأشدُّ تهيّأً لقبولِ أثرِ المؤثّرِ منها.

فإن قيلَ: إنّ عظمَ الذَّنَبِ قد يحترقُ، وقد يتعفَّنُ، قلنا: الأحاديثُ دالَّةٌ على بقاءِ ما يتكوَّنُ منهُ البدنُ عندَ إرادةِ البعثِ، وإن كانَ أصغرَ أجزاءٍ من العَجْبِ، فيجوزُ أن يخلقَ اللهُ تعالى جزءًا منه أصلبَ وأشدَّ، بحيثُ لا يقبلُ الاحتراقَ /[34ظ] ولا التعفُّنَ، كما يُشاهدُ في بعضِ الجواهرِ، وقد يوجدُ من الحِبَّاتِ، والبذورِ، ما يَعْجَزُ الإنسانُ عن كسرهِ ورضّهِ، ونظيرُ هذا العَجْبِ ما في الجَرَادِ الَّذي وقعَ في أرضٍ، وحانَ موتُهُ، وأدْخَلَ ذنَبَهُ في الأرضِ، فماتَ فيها، ويَتَعفَّنُ أجزاؤهُ إلَّا جزءًا منهُ لايَقْدِرُ كَسْرَهُ ورَضَّهُ، فإذا جاءَ الرَّبيعُ يَتَكَوَّنُ منهُ جَرَادٌ، فيطيرُ فَسُبْحَانَ مَنْ سبَّبَ الأسبابَ، وقد قَدَرَ على كلِّ شيءٍ بلا سببٍ ولا اكْتِسَابٍ، /[34و] والإمْتِرَاءُ في الشَّيءِ الشَّكُّ فيهِ.

ويُقَالُ مَرَى مِرْيَةً أَيْ شَكَّ شَكًّا، فالمِرْيَةُ بالكَسْر، وقد تُضَمُّ، ويُقالُ مَرَى النَّاقَةَ مَرْيًا إذا مَسَحَ ضِرْعَها لِيَدُرَّ باللَّبَن ،ويُقَالُ مَرَى الفَرَسَ مَرْيًا إذا استخرجَ ما عنْدَهُ مِنَ الجَرْي بِسَوطٍ، أو غيرِهِ والاسمُ المِرْيَةُ، وقد تُضَمُّ ،فالظَّاهرُ ممَّا ذُكِرَ من الاستعمالِ أنَّه شَبَّهَ حَالَ الشَّاكِّ بحَالِ مَاسِحِ الضَّرْعِ أو مُسْتَخْرِجُ الجَرْي في أنَّهُ يَتَكَلَّفُ في /[35ظ] تحصيلِ العِلْمِ كما يَتَكَلَّفُ المَاسِحُ والمُسْتَخْرِجُ في تَحْصِيلِ اللَّبَنِ والجرَي ،فعلى هذا يكونُ قولُهُ تَمْتَرُونَ استعارةٌ تمثيليَّةٌ تَبَعِيَّةٌ، ويكونُ قولُهُ مَري مَرَى مِرْيةً أَي شَكَّ من قبيل الاستعارةِ أيضاً.

﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّماواتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام، 3/6] قوله: "في السَّماواتِ مُتَعَلِّقٌ بمعنى اسمِ اللهِ، كأنَّه قيلَ: وهو المَعْبُودُ فيها، ومنه قولُهُ تعالى: وَهُوَ الَّذى فِى السَّمَاءِ إِلٰهٌ وَفِى الْأَرْضِ إِلٰهٌ، /[35و] أو وهو المَعْرُوفُ بالآلهيَّةِ،أو المُتَوَحِّدُ بالآلِهيَّةِ فيها، أو وهو الَّذي يُقالُ لهُ: اللهُ فيها لا يُشْرَكُ به في هذا الاسمِ، ويجوزُ أن يكونَ اللهُ في السَّمواتِ خبراً بعدَ خَبَرٍ على معنى أنّه اللهُ، وأنّه في السَّمَوَاتِ والأرضِ بمعنى أنّه عَالِمٌ بما فيها، لا يَخْفَى عليهِ منه شيءٌ كأنَّ ذَاتَهُ فيها.[84]

فإنْ قُلْتَ كيفَ مَوقعُ قولِهِ تَعَالى يَعْلَمُ سِرَّكُم، وجهرَكُم؟ قُلْتُ إنْ أَرَدْتَ المُتَوَحِّدَ بالآلِهيَّةِ /[36ظ] كانَ تقريراً لهُ، لأنَّ الّذي استوى في علمهِ السّرُّ والعلانيّةُ هوَ اللهُ وحدَهُ، وكذلكَ إذا جعلتَ في السّماواتِ خبراً بعدَ خبرٍ، وإلّا فهو

[82] ج: القدر.
[83] ج - أنَّ.
[84] ج + تعالى.

كلامٌ مبتدأٌ بمعنى، هو يعلمُ سرَّكمْ وجهرَكمْ، أو خبرٌ ثالثٌ، ويعلمُ ما تكسبونَ منَ الخيرِ والشّرِّ، ويثيبُ عليهِ، ويعاقبُ". هذا كلامُ الزَّمخشريّ في تفسيرِ هذه الآيةِ والسَّعدِ التفتازانيّ رحمهُ اللهُ تعالى رحمةً واسعةً،[85] قد قضى الوطرَ في شرحِ كلامِهِ /[36و] حيثُ قالَ "قولَهُ متعلِّقٌ بمعنى اسمِ اللهِ لا خفاءَ، ولا خلافَ، في أنَّهُ لا يجوزُ تعلّقهُ بلفظِ اللهِ؛ لكونِهِ اسماً لا صفةً، وكذا في قولِهِ تعالى: في السّماءِ إلهٌ، وفي الأرضِ إلهٌ، لأنَّ إلهاً اسمٌ وإن كانَ بمعنى المعبودِ، كالكتابِ بمعنى المكتوبِ، بل هو متعلِّقٌ بالمعنى الوصفيّ الّذي ضُمِّنَهُ اسمُ اللهِ، كما في قولكَ حاتِمٌ في طَيِّئٍ، حاتمٌ في تَغْلِبَ على تضمينِ معنى الجوادِ، والمعنى الّذي يعتبرُ /[37ظ] هنا يجوزُ أنْ يكونَ هو المأخوذُ من أصلِ اشتقاقِ الاسمِ، أعني العبوديَّةَ، أو ما اشتهرَ بهِ الاسمُ من الألوهيَّةِ، وصفاتِ الكمالِ، ودلَّ عليهِ هو اللهُ مثل أنا أبو النَّجمِ وشِعْرِيْ شِعْرِيْ أي هو المعروفُ بذلكَ في السّماواتِ والأرضِ، أو ما يدلُّ عليهِ التركيبُ الحصريُّ من التَّوحُّدِ والتَّفرُّدِ بالألوهيَّةِ، أو ما تقرَّرَ عندَ الكلِّ من مقولةِ هذا الاسمِ خاصةً.

فهذهِ أربعةُ /[37و] أوجهٍ لا سُتْرَةَ بها، وبكيفيّةِ اعتبارِها، وليسَ معناها أنَّه يُحْمَلُ لفظُ اللهِ على معناهُ اللّغويُّ، أو المعروفِ بالآلهيَّةِ، أو المتوحِّدِ بالآلهيّةِ، أو تقديرِ القولِ. وأمّا[86] الخامسُ، فهو أن يكونَ في السّماواتِ خبرٌ[87] آخرَ[88] للمبتدأِ،[وهذا معنى قولهِ يكونُ اللهُ في السّماواتِ خبراً] بعد خبرٍ، أي خَبَرين أحدِهِمَا بعدَ الآخر، فهذهِ العبارةُ شائعةٌ في هذا المعنى، وإن كانَ ظاهرها أنَّهما خبرٌ[89] كائنٌ /[38ظ] بعد خبرٍ، وليسَ كذلك، ومعنى كونهِ فيها أنَّهُ تعالى عالمٌ بِما فيها على التَّشبيه، والتَّمثيلِ، شُبِّهَت حالةُ علمه بها بحالةِ كونهِ فيها، لأنَّ العالِمَ إذا كانَ في مكانٍ كانَ عالمًا بهِ، وبما فيهِ، بحيثُ لا يخفى عليهِ فيهِ شيءٌ، ويجوزُ أنْ يكونَ كنايةً فِيْمَن لم يشترطْ جوازَ المعنَى الأصليّ، ولا يستقيمُ الكلامُ بدونِ هذا المجازِ، أو الكنايةِ.

وكذا قولهُ تعالى: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ اَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد، 4/57] /[38و] وقولهُ: وإلّا فَهُوَ كلامٌ مُبْتَدَأٌ؛ أي مُسْتَقِلٌ غيرُ مرتبطٍ بما قبلَهُ، ولا حاجةَ إلى جعلهِ استئنافًا، بمعنى جوابِ سؤالٍ، وإنْ جازَ ذلك، وقد جَرَتْ عادتُهُ في مثلِ هذا المقامِ بتقديرِ المبتدأِ ،ولا يظهرُ له وجهٌ يُعْتَدُّ بهِ، ووجهُ التَّقريرِ على تقديرِ خبريَّةٍ في السَّماواتِ ظاهرٌ؛ إذ معناه أنَّهُ كاملُ العلمِ بما فيها، وعلى تقديرِ تَعَلُّقِهِ بمعنى المُتَوَحِّدِ بالآلِهِيَّةِ، ما ذَكَرَهُ مِنَ الاِسْتِلْزَامِ، وأَمَّا على/[39ظ] تقديرِ المَعْبُودِيَّةِ، أو المعروفيةِ بالآلهيةِ، أو الاختصاصِ بهذا الاسمِ، فلا تقريرَ، لأنَّه لا دَلَالَةَ لاستواءِ السِّرِّ، والعلانيَّةِ في علمهِ على هذا المعنى،[90] وربَّما يُعْبَدُ ،أو يُعْرَفُ بالأُلوهِيَّةِ،أو يختصُّ بهذا الاسمِ مَنْ ليس له كمالُ العلمِ، لكنْ لا يخفَى أنَّه إذا[91] أُرِيدَ المعْبُودُ بالحقِّ فلهُ وجهٌ، وقولُهُ أو خبرٌ ثالثٌ :ظاهرُهُ العطفُ على كلَامِ مُبْتَدَأٍ، وليسَ بمستقيمٍ، لأنَّهُ حينئذٍ خبرٌ ثانٍ /[39و] لا ثالثٌ.

وإنّما يكونُ ثالثًا إذا جُعِلَ في السَّماواتِ خبراً ثانيًا، فالوجهُ أَنْ يُجْعَلَ عَطْفًا على مَضْمُونِ الكَلَامِ السَّابقِ أي هو تقريرٌ على هَذَيْنِ الوجهينِ،[92] وكلامٌ مبتدأٌ على البَوَاقِي، أو خبرٌ ثالثٌ على أحدِ الوَجْهَينِ،[93] و يَنْسَاقُ الذِّهْنُ إلى جَوَازِ كونهِ خبرًا ثانيًا على الأربعةِ الباقيةِ. انتهى مقاله". وقيلَ هوَ ضميرُ الشَّأنِ، واللهُ مبتدأٌ ،والخبرُ يَعْلَمُ سِرَّكُم ،وفي مُتَعَلِّقٌ بِيَعْلَمِ، وقالَ القاضي البَيْضَاويُّ /[40ظ] رحمه الله قوله: وهوَ اللهُ ، الضَّميرُ للهِ، واللهُ خبرُهُ، وقولُهُ تعالى: في السَّماواتِ، وفي الأرضِ، متعلِّقٌ باسمِ اللهِ، والمعنى :هُوَ المُسْتَحَقُ للعبادةِ فيها لا غيرَ، كقوله تعالى: وهو الَّذي في السَّماءِ إلهٌ ،وفي الأرضِ إلهٌ، أو بقولِهِ[94] :يَعْلَمُ سِرَّكُم ،وجَهْرَكُم ،والجملةُ خبرٌ ثانٍ، أو هِيَ الخبرُ، واللهُ بدلٌ مِنَ المبتدأِ، واللهُ بدلٌ، ويكفي لِصِحَّةِ الظَّرْفيةِ كونُ المَعْلُومِ فيها كقولِكَ: رَمَيْتُ الصَّيْدَ في الحَرَمِ/[40و] إذا كنتَ

[85] ج - رحمة واسعة.
[86] ج + القول.
[87] ج + بعد خبرٍ.
[88] ج - آخر.
[89] ب - خبر.
[90] ج + إذ.
[91] ج: إن.
[92] ج - الوجهين، صح في الهامش.
[93] ج - وكلامٌ مبتدأٌ على البَوَاقِي، أو خبرٌ ثالثٌ على أحدِ الوَجْهَينِ.
[94] ج + تعالى.

خارِجَهُ والصيدُ فيهِ، أو الظَّرفُ مستَقَرٌّ وقعَ خبرًا، فالمعنى أنَّهُ تعالى لكمالِ علمهِ بما فيها كأنَّهُ تعالى فيها، فقولُهُ: يعلمُ سرَّكم وجهرَكم بيانٌ وتقريرٌ لهُ، وليسَ متعلَّقَ المصدرِ، لأنَّ صلتَهُ لا تتقدَّمُ عليه، انتهى مقاله.

وإنّما قالَ: والمعنى هوَ المستَحَقُّ للعبادةِ، ولم يقُلْ هوَ المعبودُ مع أنَّهُ ذاهبٌ إلى أنَّ اللهَ وصفٌ، وأصلُهُ الإلهُ بمعنى المعبودِ، لأنَّ المقامَ مقامُ الثَّناءِ /[41ظ] فإرادةُ استحقاقِهِ تعالى الصِّفةَ الجميلةَ أعرقُ في الإثناءِ من إرادةِ نفسِ الصِّفةِ مع أنَّ[95] إثناءَ اللهِ تعالى على ذاتِهِ في كلامِهِ القديمِ يستدعي أن يرادَ معنى الاستحقاقِ إن لم يُصْرَف عنْه قرينةٌ صارفةٌ، ونظيرهُ ما قالَهُ في قولِهِ تعالى في أوّلِ السُّورةِ: الحمدُ للهِ من أنَّهُ تعالى حقيقٌ للحمدِ، حُمِدَ أو لم يُحْمَدِ، وإرادةُ هذا المعنى إنَّما هو بناءٌ على أصحِّ الأقوالِ الّذي هو عدمُ القولِ /[41و] بتقديرِ قُل، أو قولوا، فإن قلتَ ما الكلامُ الفاصلُ بينَ ما ذهبَ إليهِ الزَّمخشريُّ، وبينَ ما ذهبَ إليهِ البيضاويُّ في اسمِ اللهِ، هل هو عَلَمٌ[96] غيرُ مشتقٍّ، لا وصفيَّةَ فيهِ أصلاً، أم لا؟ قلتُ: الكلامُ الفاصلُ هو ما ذكرهُ الشَّيخُ الإمامُ العالمُ الأوحدُ الفاضلُ العلّامةُ علمُ الدِّينِ، حجَّةُ العربِ، شيخُ القرَّاءِ، أبو الحسنِ، عليُّ بنُ محمدِ بنِ عبدِ الصَّمدِ السّخاويُّ رحمهُ اللهُ /[42ظ] رحمةً واسعةً، في كتابِهِ سِفْرِ السَّعادةِ، فقالَ: "في هذا الاسمِ أقوالٌ، القولُ الأوَّلُ، قولُ سِيْبَوَيْهِ، وقد رواهُ عنِ الخليلِ، إنَّ أصلَهُ إلهٌ، مثلُ كتابٍ، ثمَّ دخلتِ الألفُ واللَّامُ عليهِ.

فقالوا: الإلهُ ثمَّ نقلوا حركةَ الهمزةِ الى اللّامِ، ثمَّ أدغموا اللّامَ في اللّامِ، فقالوا: اللهُ قالَ، ومثلُ هذا قولهم: أناسٌ، ثمَّ أدخلوا الألفَ واللّامَ، فقالوا: الأُناس، ثمَّ قالوا: النّاسَ قال، وقدْ يجيءُ على الأصل /[42و] قالَ:

إنَّ المَنَايا يَطَّلِعْنَ على الأُناسِ الآمِنينا

قالَ الزّجاجُ: فمذهبُ سِيْبَوَيْهِ في الألفِ واللّامِ كأنّهما عوضٌ من الهمزةِ المحذوفةِ، وقد صارتا كأحدِ حروفِ الاسمِ لا تفارقانه، فلا يجوزُ حذفهما منهُ، لأنَّهُ مباينٌ اسمهُ لسائرِ الأسماءِ، وهو منفردٌ بهِ لا يشاركهُ في هذا الاسمِ غيرهُ. وقالَ الجوهريُّ: سمعتُ أبا عليٍّ النَّحويَّ يقولُ: إنَّ الألفَ واللّامَ عوضٌ منَ الهمزةِ، قالَ: ويدلُّ على ذلكَ استجازتهم /[43ظ] لقطعِ الهمزةِ الموصولةِ الدَّاخلةِ على لامِ التَّعريفِ في القَسَمِ، والنِّدَاءِ، وذلكَ قولُهم: فاللهِ لنفعلنَّ، ويا اللهِ اغفرْ لي، ألا يُرى أنَّها لو كانت غيرَ عوضٍ لم تَثْبُتْ، كما لم تَثْبُتْ في غيرِ هذا الاسمِ "والقولُ الثّاني: قالوا: أصلُهُ لاهٍ على فَعْلٍ مثل ضربٍ، وإلى هذا القولِ ذهبَ أبو العباسِ محمّدٌ، قالَ ثمَّ دخلتِ الألفُ واللّامُ تعظيمًا للهِ تعالى، وإبانةً لهُ عن كلِّ مخلوقٍ، فهو اسمٌ وإن كانَ فيهِ/[43و] معنى فعلٍ ويؤيّدُ هذا قولُ ابنِ عبَّاسٍ، رضي الله عنهما، هوَ اللهُ ذو الألوهيَّةِ يَأْلُهُهُ الخلقُ. وقرأَ ابنُ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُ: ويذرك وآلهتك أي وعبادتكَ، لأنّهم كانوا يعبدونَ فرعونَ.

قالَ أبو العبَّاسِ محمَّدٌ: وأصلُ لاهٍ لَوَهٌ، أو لَيَهٌ، قُلِبَتِ الواو، أو الياءُ ألفًا، ثمَّ أُدْخِلَ الألفُ واللّامُ، قالَ: ولو كانَ كما ذكرَ سِيْبَوَيْهِ أنَّ أصلهُ إلهٌ، لكانَ قدْ حَذَفَ فاءَ الفعلِ. والقولُ الثَّالثُ: جوَّزَ بعضُهُم أن يكونَ/[44ظ] أصلُهُ ولَاهٌ، فأُبْدِلَتْ الواو همزةً، فقيلَ: إلهٌ، كما قالوا: إسَادَةٌ في وِسَادةٍ، واُشْتُقَّ من الوَلَهِ، لأنّ قلوبَ العِبادِ تَولَهُ إليهِ، أي تَفْزَعُ، كقولِهِ تعالى: ثمَّ إذا مسَّكمُ الضُّرُّ فإليهِ تجأَرُونَ، وكانَ القياسُ أنْ يقالَ : مَوْلَوهٌ ،كما يُقالُ: مَعْبُودٌ إلَّا أنَّهُم خالفُوا فيه ذلك القياسَ، لِيَكُونَ اسمًا عَلَمًا ،فقالوا: إلهٌ كما قالوا: لِلْمَكْتُوبِ كتابٌ، ولِلْمَحْسُوبِ حِسابٌ، والقولُ الرَّابعُ: قالَ آخرُونَ: أَصْلُهُ/[44و] مِنْ أَلَهَ يَأْلَهُ إذا تَحَيَّرَ، لأنَّ العقولَ تَأْلَهُ عندَ التَّفَكُّرِ في جَلَالِهِ، أي تَتَحَيَّرُ، والقولُ الخامسُ، قال بعضُ اللُّغويينَ: أَلَهَ يَأْلَهُ اَلِهَةً، بمعنى عَبَدَ يَعْبُدُ عِبَادَةً، والتَّأَلُهُ التَّعَبُّدُ، قال: فمعنى الإلهُ المَعْبُودُ ،ومعنى لا إله إلاَّ الله، لا مَعْبُودَ إلَّا اللهَ ،وإلَّا ههنا بمعنى غَيْرِ لا بمعنى إلَّا للاستثناءِ، لأنَّ الاستثناءَ ينقَسِمُ إلى قسمينِ: إلى جِنْسِ المُسْتَثْنَى منهُ، وإلى غيرِ جِنْسِهِ ،ومَنْ تَوَهَّمَ الأمْرَيْنِ/[45ظ] في اللهِ تعالى، فقد أُبْطِلَ. والقولُ السَّادس.

قال أبو عليّ: مَنْ قالَ إنَّ إلَهًا مأخوذٌ مِنْ تَوَلُّهِ العِبَادِ إليهِ، فقد أخطأَ، لأنَّ قولهم يَأْلَهُ يدلُّ على أنَّ الهمزةَ فاءُ الكلمةِ. والقولُ السَّابعُ: زعمَ بَعْضُهُم أنَّ الأصلَ فيهِ الهاءُ، وهيَ الهاءُ الّتي تكونُ كنايةً عنِ الغائبِ، قالَ: وذلكَ لأنَّهم

[95] ج - أنَّ.
[96] ب ج + اسم.

أثبتوهُ موجودًا في نظرِ عقولهم، وأشاروا إليهِ بهاءِ الكنايةِ، ثمَّ زِيْدَت فيهِ لامُ المِلْكِ؛ إذ عَلِموا أنّهُ /[45و] خالقُ الأشياءِ ومالِكُها، فصارَ لهُ، ثمَّ زِيْدَت فيهِ الألفُ واللّامُ تعظيمًا، وفخَّموهُ توكيدًا. ومنهم من أجراهُ على الأصلِ في تركِ التَّفخيمِ، فأمَّا هذا القولُ، وقولُ سِيْبَوَيْهِ، وقولُ المبرّدِ فهوَ كلامٌ في اسمِ اللهِ تعالى، وباقي الأقوالِ إنَّما هوَ كلامٌ في قولهم إلهٌ. والقولُ الخامسُ لا يُعَدُّ قولًا، لأنَّ قولَهم أَلَهَ يَأْلُهُ إلَهَةً، إنمّا هو مأخوذٌ منَ الإلهِ. والقولُ الثّامنُ: قالَ الخليلُ في غيرِ روايةِ سِيْبَوَيْهِ /[46ظ] عنهُ، هو عَلَمٌ اسمٌ غيرُ مشتقٍّ، فلا يجوزُ حذفُ الألفِ واللّامِ عنهُ، كما يجوزُ منَ الرَّحمنِ والرَّحيمِ، وإلى هذا القولِ ذهبَ جماعةٌ من أهلِ العربيّةِ، وجماعةٌ منَ الفقهاءِ، منهم الشّافعيُّ، وأبو حنيفةَ، ومحمَّدُ بنُ الحسنِ، قالوا: هو اسمٌ علمٌ غيرُ مشتقٍّ من شيءٍ.

وقالَ أبو بكرِ بنُ دريدٍ: فأمّا اشتقاقُ اسمِ اللهِ تعالى، فقد أقدمَ قومٌ على تفسيرهِ، ولا أحبُّ أن أقولَ فيهِ شيئًا، وهذا الّذي حكيناه /[46و] عن الفقهاءِ ومن وافَقَهُم، هوَ الّذي يعوّلُ عليهِ، ويجبُ المصيرُ إليهِ، لأنَّ ما تقدَّمَ منَ الأقوالِ ظنٌّ وتخمينٌ لا دليلَ عليهِ، ألا تَرَاهُم يقولونَ هو كذا، بل هو كذا، ثمَّ إنَّ سِيْبَوَيْهِ قالَ غيرَ القولِ الأوّلِ، فأجازَ أنْ يكونَ أصلُهُ لَاهٌ، وقلتُ: ليسَ قولُهُ الأوّلُ فيه كقولِ العربِ في النَّجْمِ، لأنَّ ذلكَ معلومٌ فيهِ الحالانِ، وليستِ الحالُ الّتي ادّعاها سِيْبَوَيْهِ في اسمِ اللهِ بمعلومةٍ، ولا يُعْرَفُ /[47ظ] ذلكَ، ولا يقومُ عليهِ دليلٌ، وليسَ ما قالَ سِيْبَوَيْهِ في النَّاسِ ممّا يوافقُ هذا الاسمَ العظيمَ، لأنَّ النّاسَ والأُناسَ بمعنًى واحدٍ. وليسَ اللهُ والإلهُ بمعنًى واحدٍ، لأنَّ اللهَ علمٌ لا يرادُ بهِ ما يرادُ بالإلهِ. انتهى مقالُ السَّخاويّ رحمهُ اللهُ رحمةً واسعةً،[97] فظهرَ منهُ أنَّ تفسيرَ الزَّمخشريّ في قولهِ تعالى: وهو الله في السماوات، هو على الأصلِ المعوَّلِ عليهِ دونَ تفسيرِ القاضِي البيضاويّ /[47و] رحمهما اللهُ تعالى.

واعلم أنَّ في تفسيرِ قولهِ تعالى وهو اللهُ في السَّماواتِ وجهين يغايرانِ ما ذكرهُ الزَّمخشريُّ والبيضاويُّ رحمهما اللهُ تعالى في تفسيرهِ، أحدهما أنْ يكونَ قولهُ تعالى: وهو اللهُ في السّماواتِ وفي الأرضِ، لبيانِ عظمةِ قدرتهِ بشهرتهِ تعالى بها عندَ أهلِ السّماواتِ، وأهلِ الأرضينِ فيكونُ تقريرًا لما سبقَ من قولهِ تعالى هوَ الّذي خلقكم من طينٍ ثمَّ قضَى أجلاً /[48ظ] وأجلٌ مسمًّى عندهُ ثمَّ أنتم تمترون، فكأنَّهُ قيلَ هوَ المعروفُ بالقدرةِ الكاملةِ على جميعِ الممكناتِ، مع خلقِ جميعِ ما سواهُ من الموجوداتِ عندَ أهلِ السّماواتِ والأرضِ، ونحوهُ قولُ عليّ بنِ أبي طالبٍ رضي الله تعالى عنه في الحربِ: أنا عليٌّ. ومن هذا القبيلِ قولُ النّاسِ: هو سلطانُ محمّدٍ، يريدونَ هو ذو القدرةِ والشّجاعةِ، بناءً على ما اشتُهِرَ بها. والوجهُ الآخرُ /[48و] أن يكونَ قولُهُ تعالى وهو اللهُ في السّماواتِ، لبيانِ كمالِ علمهِ، الّذي لابدَّ منهُ في القدرةِ على إعادةِ المعدوماتِ، فكأنَّهُ قيلَ: هو المعروفُ بعلمِ جميعِ الموجوداتِ، والمعدوماتِ عندَ أهلِ السَّماواتِ والأرضِ، فكيفَ تمترونَ في القدرةِ على البعثِ، ممَّن خلقكم من طينٍ، ولا يعزبُ عن علمهِ شيءٌ منَ الموجوداتِ، والمعدوماتِ ونحوُهُ قولُ أبي النَّجمِ: أنا أبو النّجمِ وشِعْرِيْ /[49ظ] شِعْرِيْ، فَعَلَى هذا الوجهِ يكونُ قولُهُ تعالى: يعلم سركم وجهركم، تأكيدًا لقولهِ تعالى: وهو اللهُ. وأمّا على الوجهِ الأوَّلِ، فيكونُ استئنافاً، كأنّهُ سُئلَ: هل يعلَمُ بواطنَ كلّ شيءٍ وظواهرهُ، ليقدرَ على إحياءِ المعدوماتِ؟ فقيلَ: يعلم سركم وجهركم، أي يستوي في علمِهِ تعالى السِّرُّ والعلانيَّةُ.

وأمّا قولُهُ تعالى: ويعلم ما تكسبون، أي منَ الخيرِ والشَّرِ، فوعدٌ للموحِّدينَ المؤمنين بالبعثِ بالمثوباتِ /[49و] والدَّرجاتِ الجنانيّةِ على كسبهم، وأعمالهم الحسنةِ الظَّاهرةِ، والباطنةِ، ووعيدٌ للمشركينَ المنكرينَ للبعثِ بالعقوباتِ، والدَّركاتِ النيرانيّةِ على كسبهم، وأعمالهم القبيحةِ الظّاهرةِ، والباطنةِ، وعلى ما قيلَ، لعلَّهُ أُرِيْدَ بالسِّرِّ، والجهرِ ما يخفَى، وما يظهرُ من أحوالِ الأنفسِ. وبالمكتسبِ أعمالُ الجوارحِ، يكونُ قولُهُ تعالى: يعلم سِرَّكَمْ وجَهْرَكَم، ويَعْلَمُ ما تكْسِبُونَ جميعًا وَعْدًا، ووَعِيدًا.

واِعْلَمْ /[50ظ] أنَّ ما ذكرتُ منَ الوجهينِ مبنيٌّ على ما ذهبَ إليهِ جماعةٌ منْ أهلِ العربيّةِ، وجماعةٌ منْ الفقهاءِ، منهم أبو حنيفةَ، ومحمَّدٌ بنُ الحسنِ،[98] والشّافعيُّ رحمهم الله،[99] منْ أنَّ اسمَ اللهِ علمٌ اسمٌ غيرُ مشتقٍّ، لا

[97] ج - رحمة واسعة.
[98] ج + الشيباني .

وصفيّةَ فيهِ أصلًا، فيكونُ في قولهِ تعالى: في السّماواتِ، متعلِّقًا بالمعنى باسمِ اللهِ، وهو المعنى الوصفيُّ الّذي ضُمِّنهُ اسمُ اللهِ تعالى، وهو القدرةُ الكاملةُ على الوجهِ الأوّلِ، والعلمُ الكاملُ على الوجهِ الثّاني /[50و] بناءً على شهرتهِ تعالى بكلٍّ منهما، كما في قولِكَ حاتمٌ في طَيِّئٍ، على تضمينِ معنى الجوادِ، وتعلُّقِ في هنا بالمعنى المُضَمَّنِ طريقةُ الزَّمخشريّ رحمهُ اللهُ تعالى، وليسَ هوَ بمتعلَّقٍ باسمِ اللهِ كما اختارهُ القاضِي البيْضَاويُّ، مخالفًا لمَا ذهبَ إليهِ الشَّافعيُّ، رحمهما اللهُ تعالى رحمةً واسعةً. هذا ماخَطَرَ بالخَاطِرِ الفَاتِرِ عندَ فُتُورٍ فيهِ، الخُطُورُ نادرُ.

المصادر والمراجع

الأعلام، الزِّركلي، خير الدين بن محمود (المتوفى: 1396هـ)، دار العلم للملايين، بيروت الطبعة: الخامسة عشر، 2002م.

أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (تح: محمد عبد الرحمن المرعشلي)، **البيضاوي**، ناصر الدين أبو سعيد (المتوفى: 685هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – 1418، ج2.

إيضاح شواهد الإيضاح، (دراسة وتحقيق: الدكتور محمد بن حمود الدعجاني)، القيسي، أبو علي الحسن بن عبد الله دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1408هـ -1987م.

البستان وكول ستان، ترجمة: رفعت بلقه الكليسي، **الشيرازي**، الشيخ السعدي مطبعة الظفر، اسطنبول، 1980 م.

التفسير البسيط، الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد، منشورات إمام محمد بن أبي السعود، مكان الطبع لا يوجد، 1430، 2، 251.

الحاشية على تفسيرسورة الأنعام للبيضاوي، حسن زاده، مخطوطة مكتبة السليمانية، أسعد أفندي/91، (S. Ktp. /Esad. Ef.)، لوحة 64.

سفر السعادة وسفير الإفادة، (تح: د. محمد الدالي، تقديم: د. شاكر الفحام (رئيس مجمع دمشق)، السخاوي، علي بن محمد بن عبد الصمد (المتوفى: 643 هـ)، الناشر: دار صادر، الطبعة: الثانية، 1415 هـ -1995 م.

شعب الإيمان (تح.محمد سعيد بسيوني زغلول)، البيهقي، أبو بكر محمد بن الحسين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1410، 2.

الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية، طاشكبري زاده (ت. 968هـ/1560-1561م) أحمد بن مصطفى بن خليل، أبو الخير، عصام الدين، دار الكتاب العربي ، بيروت، ج. 1، ص. 250.

الضياء الشارق في رد شبهات المازق المارق (تح: عبد السلام بن برجس بن ناصر بن عبد الكريم)، الخثعمي، سليمان بن سحمان بن مصلح ... النجدي (المتوفى: 1349هـ) رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الخامسة، 1414هـ/ 1992م. 249-250.

الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية (المتوفى: 429هـ)، البغدادي، عبد القاهر أبو منصور، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1977م.

الكامل في اللغة والأدب، (تح: محمد أبو الفضل إبراهيم) ،المبرد، محمد بن يزيد، أبو العباس (المتوفى: 285هـ)، الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة، الطبعة: الطبعة الثالثة 1417 هـ -1997 م، ج1، 40.

الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، محمود بن عمر (المتوفى: 538هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الثالثة -1407 هـ، ج2، 4.

كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، كاتب جلبي، مصطفى بن عبد الله، مكتبة المثنى، بغداد، 1941.

الكشف والبيان عن تفسير القران (تح. ناظر السعيدي)، الثعلبي، أحمد بن محمد بن إبراهيم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2002.

كنز الدرر وجامع الغرر، (تح الجزء الأوَّل: بيرند راتكه)، **الدواداري**، أبو بكر بن عبد الله بن أيبك، عيسى البابي الحلبي، القاهرة، مصر،1402 هـ -1982، ج1، 32.

[99] ج - رحمهم الله.

المستدرك على الصحيحين (تح. مصطفى عبد القادر عطاء)، **النيسابوري**، الحاكم بن أبي عبد الله، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990، 2، 344.

المفسرون العثمانيون بين قرني 13-16، دَمِير، ضِيا، ، أنصار نشريات، إسطنبول، 2006، ص. 406-407؛ موسوعة وقف الديانة الأسلامية "العطوفي" جاكان، اسماعيل لطفي، ج. 4، ص. 98.

موسوعة وقف الديانة الأسلامية، جاكان، اسماعيل لطفي، إسطنبول، 1991.

هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، البغدادي، إسماعيل بن محمد أمين، طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية، استانبول، 1951[1]